مكذوا في والع صرالمعاصر



96









#### مركز وثا ثورويًا ديخ مصرا لمعاصر

إشرات : أ. د ،' يونان لبيب رزق سميّرانوير: خلف عبدالعظيم لميريمت



# عضرحككيان

١٠ د . أحديم الرصيم مصطفى



#### تقسديم

هــذه موضــوعات أربعــة كتبهــا الأســـتاذ الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى فى مناسبات مختلفة .

وما تقوم به « مصر النهضة » من جمع هــذه الموضوعات ونشرها في أحد أعدادها له أسبابه .

فالأستاذ الدكتور أحسد عبد الرحيم مصطفى أسستاذ جيل من المؤرخين وكل ما يكتبه ينبغى الحفاظ عليه وتوفيره لجموع الباحثين ، فهذا حقه كما أنه بنفس القدر حتى أبناء الأجيال الجديدة من الراغبين في متابعة ما كتبه .

ثم ان الموضوعات الأربعة التي تنشرها مصر النهضـــة في هذا العدد تجمع بينهـــا وحدة موضـــوعية اذ انها تعـــالج في

غالبها تلك الفترة الغامضة من تاريخ مصر بين نهاية عصر محمد على وبدايات عصر اسماعيل •

أضف الى ذلك أننا كنا حريصين فى مصر النهضة على اقتناء ونشر عينات من تلك المجموعة الثمينة من أوراق حككيان التى تفضل الدكتور أحمد عبد الرحيم فمنحها لهذا العدد لنشرها كملحق له لتكون عونا اللبانعين فى تلك الفترة .

ولأهمية هـذه الأوراق من جانب ، ولأن الموضوعات التى تضمنها هـذا العدد يجمع بينها أنها وقعت كلها فى عصر حككيان ، فقد رآينا آن نطلق على مجموعة هـذه البحوث «عصر حككيان» •

والأمل معقود على أن تكون هذه المجموعة من الموضوعات مصدر فائدة للباحثين في تاريخ مصر الحديث •

وعلى الله قصد السبيل

مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

### الموضوع الأول

في عهد عبساس الأول

جوانب من علاقات مصر الخارجية

بعد هزيمة القوات الفثمانية على يد قوات محمد على في موقعة نزيب في يونية ١٨٣٩(١) أصبحت الامبراطورية المشائية في مهب الرياح و ورغبة من ساسة الدولة في كسب مسائدة الدول العظمى الى جانبها فاقهم أعلنوا برناميج الاصلاحات الذي تضمنه خط شريف جلخانة وعرف في مجموعة باسم التنظيمات الخبرية لأنها استهدفت (تنظيم) شستون الدولة وفق أسس جديدة في جميع المجالات الادارية والمالية والقضائية والتعليمية و وقد آكلت التنظيمات على نقاط والقضائية والتعليمية و وقد آكلت التنظيمات على نقاط ثلاث هي:

 ا توفير الضمانات الأمن جميع رعايا الدولة على حياتهم وشرفهم وأملاكهم مما يستدعى علائية المحاكمات ومطابقتها للوائح والغاء اجراءات مصادرة الأملاك .

٣ ـ ايجاد نظام ثابت للضرائب يحل محل الالتزام .

 <sup>(</sup>۱) استثبت معظم المادة الواردة في هـــــــ البحث من وفــــــ وارة الخارجية البرطانية .

٣ ــ توفير نظام ثابت للجندية بحيث لا تظل مدى الحياة
 بل تحدد مدتها بفترة تتراوح بين أربع وخمس سنوات .

وبالاضافة الى ذلك فقد أكد الخط الشريف للمرة الأولى وبصفة رسمية المساواة بين جميع رعايا السسلطان أمام القانون .

وبعد صدور خط شريف جلخانة وققت بريطانيا الى جانب الدولة العثمانية رغبة منها فى تدمير الامبراطورية المصرية وما تضمنته من اخطار على المواصلات البريطانية صسوب الهند و لهذا سعت الى تشسكيل تألب دولى أمكنه العاق الهزيمة بمحمد على وارغامه على الانسحاب من كل أملاكه باستثناء مصر والسودان ، ثم تحدد وضع مصر الدولى بمقتضى معاهدة لمنذن الموقعة فى أول يونيه ١٨٤٠ والخط الشريف الموجه الى محمد على والصادر فى ١٨٤٧ والخط الشريف الموجه الى فى أول يونيه ١٨٤١ و وقد حددت هنده الاتفاقيات والمراسيم وضع مصر القانونى الذى ظل ساريا الى آن تنازات تركيا عن سيادتها على مصر بمقتضى معاهدة لوزان الموقعة فى عام ١٩٢٣٠ سيادتها على مصر بمقتضى معاهدة لوزان الموقعة فى عام ١٩٢٣٠

ولقد نصل الفرمان الصادر فى أول يونيه ١٨٤١ على حق محمد على وأبنائه فى حكم مصر وراثيــا وتمتعهم بســلطات تفوق سلطات الولاة العثمانيين الآخرين ، كما نص على كون والى مصر من رعايا السلطان وأفصاله وعلى أن جيش مصر جزء لا يتجزأ من الجيش العثماني وحدد عدد قواته بما لا يزيد على ١٨٥٠٠٠ مقاتل في أوقات السلم وعلى أن يرسل الوالي سنويا ارسالية مالية الى استانبول وأن تطبق القوانين والمماهدات العثمانية على مصر باعتبارها جزءا لا يتجزأ من الامبراطورية العثمانية وعلى أن يقلد كل والى منصبه وخلعمه شخصيا في العاصمة العثمانية وأن تسك نقود مصر وتجبى ضرائبها باسم السلطان • على أن استقلال مصر الذاتي رغم كل ذلك كان كاملا والضرائب والدفساع والتشريع • وعلى أي حال فان تسسوية عام ١٨٤٠ - ١٨٤١ التي حددت وضع مصر الدولي بهــذا الشكل قد توصلت الى حل وسط أرضى رغبات جميع الأطراف. فالباب العالى لم يعترض على حق الوراثة طالمًا بقيت مصر في نطاق الامبراطورية العثمانية وفرضت حدود على سلطة والبها ، أما الدول العظمى التي ضمنت سريان التسموية فانها حافظت على تمامية أملاك السلطان دون أن توصد الباب أمام التغلفل الاقتصادي الأوروبي ، كما أصبحت بمثابة حكم فين مصر والدولة العثمانية وبالتالي اكتسبت حق التدخل في شئون كلا الطرفين ولو أنها لم تحل دون تطلع كل الأطراف الى اكتسماب مزيد من المزايا : فحق الحكم الوراثي كان بشجم ولاة مصر على التطلع الى الاستقلال التام في الوقت الذي سعى فيه الباب العالى الى تقليص الامتيازات التى حصات عليها مصر متى ما سنحت الفرصة •

وبعد هزيمة مصر فى أوائل الأربعينات اتنقلت بالتدريج من حيز القسوة الى حيز الضعف ومن الاسستقلال الواقعى الى الخضوع لاستانبول •

وقد أحس محمد على بهذا التغيير فاهتم بمقاومة اتجاه كل من بريطانيا وفرنسا للتدخل في شئون البلاد ولما كان يخشى الاحتلال البريطاني باستمرار فقد تعاون مع الحكومة الفرنسية في تعصيين سواحل مصر الواقعة على البحر المتوسط ، كما زاد أعداد جيشه فوق الحد الذي سمحت به التسوية وذلك عليها مصر و ولكي يؤكد استقلاله الذائي فانه استولى على عليها مصر ولكي يؤكد استقلاله الذائي فانه استولى على الادارة المصرية و وحين عرض عليه مشروع قناة السويس تردد في تنفيذه خوفا من اغضاب بريطانيا وأصر على أن يكون المشروع في تنفيذه خوفا من اغضاب بريطانيا وأصر على أن يكون المشروع الحكومة المصرية ، كما تحدث عن حياد مصر باعتباره شرطا الماسيا لتنفيذ المشروع الذي أشار الى كونه ذا أهمية بالنسبة الى أوروبا بوجه عام وقد علمته تجاربه الطويلة أن لا جدوى من الاعتماد على فرنسا أو على أي دولة أوروبيسة عظمى أخرى من الاعتماد على فرنسا أو على أي دولة أوروبيسة عظمى أخرى

وان مقاومة النفوذ العشاني أسهل دنيرا من مقاومة نفود انجلترا وفرنسا وبالتالي فقد عدل موقفه من استانبول وحسن علاقاته بالسلطات العثمانية باعتبار ذلك وسيلة لمقاومة الضغط الغربي •

وبعد ان اختلط عقل محمد على تولى ابنه ابراهيم الحكم، وحين توفى تولى عباس الأول حفيد محمد على الذى اتصف بالقسوة والتعصب، خاصة وأنه كان الوحيد من أبناء محمد على وأحفاده الذى لم يتلق تعليما عصريا ولم يدرس أى لغة أوروبية أو يقوم بزيارة أوروبا ، وبالتالى فانه لم يتذوق الحضارة المغربية ولم يبد أى احترام لأساليب حياة الأوروبيين ، واتجه الى القضاء على كل مظاهر النفوذ الاوروبي وتوثيق علاقات مصر بالبساب السالى خاصة وأنه كان يسقت تسامح جده مع بالبساب العمالية الى ما كانت عليه قبسل موقعة بافارينو والدولة العثمانية الى ما كانت عليه قبسل موقعة بافارينو ولاية صغيرة تابعة للدولة العثمانية وليست المبراطورية كما كان الحال في عهد جده وبالتالى فانه آمن بضرورة تمشى مؤسساتها ونظمها مع مساحتها ودخلها (٢) مما يفسر كثيرا من الاجراءات

 <sup>(</sup>۲) وثائق وزارة الخارجية المريطانية \_ اللف ۸۲۲/۷۸ نسخة من رسالة دكتور بروسر طبيب عباس الى مسدر أبرلون بتاريخ ٩ يساير ١٨٥١ .

التى اتخـذها مثل بيع الأسـطول وتسريح الجيش واغـلاق المصانم وتقليص التعليم ـ الى غير ذلك ·

وفى ديسمبر ١٨٤٨ بارح عباس مصر الى استانبول لكى يسلم فرمان توليته ويحضر فى الباب العالى الاحتفال الخاص بتنصيبه واليا ، ورغم أن السلطان عبد المجيد استقبله استقبالا حسنا وأغدق عليه امارات التشريف فقد كان الباب العالى اميل الى تقليص صلاحيات الاستقلال التى تستع بها محمد على وأبدى استعداده للاشراف المياشر على شــتون مصر (") ، وبعد عودة عباس الى مصر طلب منه أن يرسل ٢٠٠٠٠ رجل لكى يعملوا فى الأسطول الشماني معا آدى الى توقف العمل فى استكمال المشروع (أ) ،

وقد شجع الموقف الداخلي في مصر الباب الصالي على التدخل في شئوتها ، فرغم أنّ عباس لم يرتكب في أوائل حكمه طلما أو يصطنع القسوة فقد آثار كراهيـــة الأوروبيين والعرب والاتراك خاصة وأنّ معظم الموظفين لم يكونوا يقبضون مرتباتهم

 <sup>(</sup>۳) وثائق وزارة الفارجية البريطانية ـ الملف ۸۰٤/۷۸ ـ دتم ۱۹ من مرى الى بالرستون بتاديخ ۱۹ فيراير ۱۸۶۱ .

<sup>(</sup>١٤) نفس الملف ، رغما ٢١ و ٢٤ من مرى الى بالرستون بتاديخ ١٦ و ٢١ بريل ١٩٠٠ . يونية ١٨٥٠ زار عباس السلطان في جزيرة يودمي وحيى صماد الى مصر كان شمهيد السرود لأن عبد المجيد استقباله استقبالا مصر كان شمهيد السرود لأن عبد المجيد استقبالا ١٨٥٠/٧/١٨ . - حسما ( الملف ٨٤٠/٧/١٨ ) من جليرت الى بالرستون بتاريخ ١٨٥٠/٧/١٧ . - .

لأن الخزانة كانت خاوية ـ وقيل ال عياس اســـتولى على الجزء الأكبر من ثروة محمد على الخاصـة وعلى مجوهرات بناتــه مما دفع أعضاء الأسرة الحاكمة في مصر الى الشكوى الى استانبول • وكان أنصار فرع ابراهيم يأملون في استبدال الحاكم لصالحهم وتعلقت آمالهم بالأمير أحمد أكبر أبنساء هذا الفرع الذي كثر الحديث عن مطالبت السابقة بالحسكم وعن الأموال الضخمة التي كان بامكانه الاتفاق منها للحصــول على رضى الدول العظمى • وبالاضافة الى مصاعب عباس هـــذه فان فرنسا كانت تكن له العداء بعد أن ألغى كثيرا من المؤمسات التي کان يشرف عليها فرنسيون ـ وکانت فرنسا تأمل أن يؤدي تغيير الحاكم الى خدمة المصالح الفرنسية خاصة وأن الأمير سعيد ابن محمد على والأمير أحمد بن ابراهيم اللذين كان مقيضًا لهما أن يخلفا عباس طبقا لنظام وراثة العرش وفقا لقاعدة الأكبر فالأكبر الذي وقعت عليه التسوية قد تلقيا تعليمهما في فرنسا وكان من المتوقع أن ينحازا الى جانبها (م) •

وقد المكست الصعوبات التى واجها عبساس فى النزاع الذى ثار بينه وبين الباب العالى ( ١٨٥٠ ــ ١٨٥٢ ) حول تطبيق التنظيمات فى مصر ، خاصـة وآن هــذا النزاع والاتهامات

 <sup>(6)</sup> الملف ۸۰٤/۲۸ ... المكاتبة ولم ۲۸ من مرى الى بالمرستون بتاريخ
 ٧ مايد ١٨٤٩ ٠

التي وجهها الباب العالى الى الوالى قــد تسبيت في اضطراب البلاد ، وتتبحة لخوف الوالي من تتاثيج ذلك فانه اتجه الربريطانيا لكر تحميه خاصية وأنه كان قد أثار سخط فرنسا بعد أن طرد الفرنسيان من الإدارة المصربة وأنه كان شهديد الخشهية لبريطانيا التي تسببت في هزيمة جده وكان لها أسطول قوى في البحر المتوسط • وقد راقب قنصل بريطانيا العام في مصر ــ مرى Murray → الموقف العام في البـــلاد حتى قبل أن يــــدأ النزاع بين الوالي والباب العمالي وحاول بالتدريج أن يوازن النفوذ الفرنسي الذي كان قويا جداً في عهد محمد على ، وسلمي الى انتهاز فرصة مبكرة لكي يبين له ـ بناء على اقتراح من لورد بالمرستون وزير الخارجية البريطانية ــ المزايا التي تعود على مصر من بناء سكة حديدية بين القاهرة والسويس (") • وقد أيدي مرى انزعاجه بوجه خاص من الجولات التي كان يقوم سليمان باشا الفرنساوي في الدلتا حيث كان يتفقد التحصينات ويعززها وينظم ويدرب القوات التي جرى تجنيدها مؤخرا ء وكان مرى يشك في أن فرنسا لازالت تراودها اطمساع خاصة بالاستيلاء على مصر خاصة وأن هذه التحصينات كانت قد

 <sup>(</sup>۲) نفس اللف رقم ۳ من مرى الى بالرسستون بتاريخ ۱۹ پشاير ۱۸٤٩ .
 داجع أيضا :

Helen Rivin, The Railway Question in the Ottoman —Egyptian Crisis of 1850 — 52 (Middle East Jornal, Autumn, 1961).

يدأ تنفيذها فى عهدى محمد على وابراهيم وأن الخطط الخاصة بها قد وضمت في ياريس • وكان مرى يعتقد أن الهدف من أقامة هــذه التحصينات هو تمكين الوالى اما من مقاومة الســلطان أو من قطع المواصلات بين بريطانيا والهند (<sup>٧</sup>) • وقد أدى جزع مرى الى قطعه الاجازة التي كان يقضيها في المجلترا وعودته الى مصر لكي يساند عباس في نزاعه مع الباب العالى خاصة وانه كان يتمتع لديه بنفوذ أقوى مما كان يتمتع به ممثل اى دولة أوروبية أخرى أو مما يمكنه الحصول عليه لدى أي وال قد يخلفه (١) . يضاف الى هــذا أن عباس بادر بعد نشوب النزاع بينه وبين الباب العالى الى ابداء حسن نيته أزاء انجلترا والى استنجاده بها ، ولهذا ذكر لوالن القائم بأعمــال القنصلية العامة أنه حين تولى الحكم وجد كل أدارات البلاد في أيدى الفرنسيين وآنه بعد أن قلص نفوذهم عاداه قناصل فرنسا المموميون وغيرهم من الغرنسيين مما استتبع التشنيع عليه والشكوى منه الى استانبول والتحريض على خلعه لكي يحل محله أحد أفراد الأسرة من الموالين لفرنسا ١٠ وأبدى عباس اعتماده على مرى لكي يحث الحكومة البريطانية على الدفاع عنه واصدار أوامرها الى سفيرها في استانبول ـ سير ستراتفورد كانتج ، سير ستراتفورد

<sup>(</sup>۷) ۸۰٤/۱۲/۱۲ م. رسالة من مرى الى بالمرستون مؤرخسة ۱۸۲۹/۱۲/۱۲ م.

<sup>(</sup>۸) ۸٤۱/۷۸ من مری الی بالرستون بتاریخ ۱۸۵۰/۱۰/۹ ۰

دى ردكليف فيما بعد - لكى يسانده فى دوائر القصر السلطانى والباب العالى ، مشيرا الى اهتمامه بالمواصلات البريطانية صوب الهند وملمحا الى آنه بذل كل ما فى وسعة لتحمين ادارة الترازيت ، واعتذر بالمصاعب المالية عن عدم مبادرته الى تنفيذ مشروع السكة الحديد بين الاسكندرية والسويس ووعد بتنفيذ متى ما ساعدته الظروف (١) ،

ورغم مساندة مرى لعباس فلم يكن بالمرستون و وزير خارجية بريطانيا و يعتقد أن التنظيمات ستضعف سلطة الوالى فلم مصر (١٠) • ولكن مرى أبدى قلقه حين قرر البابالعالى أن يحرم عباس من حق اعدام المجرمين ، وذلك لاعتقاده بأن حق الاعدام سيساعد على استقرار الهدوء في مصر وتأمين البريد والبضائع والركاب المتوجهين الى الهند عبر الصحراء خاصة وأن مصر لم تكن مجاورة لعاصسة الدولة بحيث يتسنى نقل المجرمين والمتظلمين اليها وارسال قوات المسلطان بالسرعة اللازمة لمساعدة السلطات المدنية اذا ما دعت الضرورة ، وأن مثل ما طالب به عباس لم يطبق في البوسنة وكردستان وأن مصاولة

<sup>(</sup>۹) نفس الملف من والتي الى مرى بتاريخ ۲۰/۳/۱۸۵۰ .

۱۰۱) ۸۲۲/۲۸ - ملحوظة من بالرستون بنادیخ ۱۸۵۱/۱/۳ علی رسالتی والن الوُرختین ۱۹ دیسمبر ۱۸۵۹ ۰

تطبيقه فى حلب ودمشق أدت الى سسفك المسكريين لقدر من الندماء يفوق ما كان يمكن أن يسفكه الحساكم المحلى فى عدة سنوات ، أما عباس فقد طالب بحق الاعسدام لا باعتباره من حقوق السسيادة ولكن باعتباره سلطة تفويض كان يمارسسها محمد على وابراهيم ويمارسه عباس ذاته حتى ذلك الوقت طبقا لفرمان الورائة ، وذهب الى أن هذا الحق الذى لم يسىء هو استخدامه كفيل بالمحافظة على أمن مصر ورخائها ، وأن محاولة حرمانه منه كان من تتيجة نفوذ إعدائه فى استانبول الذين كان يهمهم أن تختل أوضاع مصر بالصورة التى تؤدى الى خلمه ، عصم أن تخل أوضاع مصر بالصورة التى تؤدى الى خلمه ، خاصة وأن حق القصاص لم يحرم منه حتى ذلك الوقت حاكم الحجاز الذى لم يكن باشا وراثيا ولايمكن مقارنة حكومت بمصر لا من حيث الحيز أو السكان أو الأهمية (۱۱) ،

وفى ١٨ يناير ١٨٥٧ استدعى عباس القناصل المعوميين الذين كانسوا يمشلون الدول الخمس الموقعة على تسسوية ١٨٤٠ من نوايا الباب المالى واستطرد قائلا ان جيوش الدول الأوروبية لا جيوش. تركيا هي التي فرضت على محمد على الوضع القائم وأنها لذلك ملزمة أدبيا بأن تعمل على تطبيق التسوية وولم يبد ممثلو فرنسا والنمسا وروسيا بروسيا تعاطفهم مع عباس الذى اعتبروه منحازا الى مصالح

<sup>(</sup>١١) ٩١٦/٧٨ ( رقم ١ ) من مرى الى جرائفل بتاديخ ١٨٥٢/١/١٦ .

بريطانيا التجارية خاصة وقد بدأ فى تنفيذ مشروع السكة الحديدية دون أن يستشيرهم ، وصرح له قنصل فرنسا العام باله لو استدعى السلك القنصلى فبل بضعة شهور وأبدى ثفته به وطلب النصح والمساعدة من جانب القناصل لربما ادت مساعيهم لدى حكوماتهم الى التأثير فى قرارات الباب العالى والى الحيلولة دون صحدور القرار الأخير ، وكان قد سبق لحرى أن وجه نظر عباس مرارا الى ضرورة تقوية صلاته بالقناصل الآخرين وطلب تصحهم فيما يتعلق بعلاقاته بالباب العالى ولكن الوالى رفض ذلك بحجة أن قنصلا أو قنصلين كانا على علاقة أوثق بأفراد أسرته الآخرين من علاقتهما به وبان كانا على علاقة أوثق بأفراد أسرته الآخرين من علاقتهما به وبان موضوع واحد دون لباقة أو شفقة وهو عدم ميله الى مجتمعاتهم واتجاهه العام صوب بريطانيا (١٣) ،

ومهما كان الأمر فقد أحيطت الدول الخمس الموقعة على تسوية ١٨٤٠ – ١٨٤١ بموضوع التنظيمات فى نفس الوقت الذى لقى فيه عباس مسائدة عناصر معينة فى مصر ــ فقد أرسلت الى مرى عريضة وقعها بمض تجار الاسكندرية والقساهرة وبعض المواطنين المهمين الآخرين وتضمنت احتجاحهم على قرارات الباب العالى ورغبتم فى المحافظة على حقوق الوالى وعلى أمن

<sup>(</sup>۱۳) نفس اللف \_ رقم ۲ من مرى الى جرانفل بتاديخ ۱۸۵۲/۱/۱۲ .

البلاد (۱۳) • ولكى يعزز معهم عباس مركزه فانه أطلع مرى على وسسالة أرمسيلها اليسه لويس نابليون ــ رئيس الجمهوريــة الفرنسية ــ وأبدى فيها استمداده لمسافدة الوالى فى استانبول فيما لو أعــاد وضمع فرنسا الى ما كان عليه قبل تولى عبــاس الحكم حين كافت كل المناصب الهامة فى أيدى فرنسيين وحين كانت شئون مصر تدار من باريس (۱۶) • وكتب مرى الى كانتج مدافعا عن عباس وذاهبا الى أن المشكلة كلها لا تعدو كونهــا ميد تفاهم تسبب فيه أعداء عباس فى استانبول وأن مصــالح بريطانيا تكمن فى مسافحة (۱۵) •

وفى استانبول الضم سفيرا روسيا والنمسا الى كانتج وقام العجميع بمسائدة عباس ولو أن السفير الغرنسى كان على عكس ذلك (١) فعساول أن يظهر الوالى بعظهر المتمرد على سسيده مستهدفا بذلك خلمه خاصة وأن فرنسا كانت تستند فى مصر الى « الحرب الفرنسى » أى الى أمراء الأسرة الحاكمة المعروفين باسم « آبناء فرنسا » ومن التقوا حولهم • وكان كل اؤلئسك يشدون أزر الأثراك الساخطين الذين سبق أن فصلوا من خدمة

<sup>(</sup>١٣) نفس الله \_ لسخة رقم ؟ بتاريخ ١٨٥٢/١/٢٤ ٠

۱۲۵ نفس اللف ـ رقم ه من مرى الى جرانفل بتاريخ ۱۲/۱۹/۱۹

<sup>(10)</sup> تقس اللف مد لمسخة وقم ٥ من مرى الى كانتج يتاريخ ١٨٥٢/٢٥٠٠ .

<sup>(</sup>۱۲) نفسه - دقم ۸ من مری الی جرانفل بتاریخ ۱۸۰۲/۲۰۸۱ .

العسكومة (١٧) . وقد أكد عباس لمرى أن سمعيد باشسا ابن محمد على وولى العهد قد وقع خطابا التزم فيه ، في حالة توليه المرش، ، يقبول التنظيمات في محموعها وبالتنازل عن حق القصاص وبطاعة الباب العالى في كل الأمور • ورغم أن مرى كان يشك في صحة هـ ذا الخطاب الا أنه كان يرى أن نجـاح المؤامرة الهادفة الى تولية سعيد سيؤدي الى انهيار مصر تتيجة لمطالب الباب العالى واسراف سعيد أو سيستتبع وقوعهسا تحت الحماية الفرنسية المباشرة مما يلحق بالمسالح البريطانية أفدح الأضرار (١٨) • وحين طلب عباس زبارة سفينتاين بربط انيتاين الى الاسكندرية نصح مرى وزارة الخارجية البريطانية بتلبية طلبه حتى لا تتعرض البـــلاد لانقلاب سياسى خاصـــة وآن نوبار ب سكرتين الوالي وترجمانه ب بعث وسيالة الى مرى ذهب فيها الى أن رشيد باشا ( الصدر الأعظم ) قد وعد سفير فرنسا في استانبول بخلع عباس في حالة مساندة الحكومة الفرنسية له (١٩) · (ا) الصدر الأعظم ) (١٠)

<sup>(</sup>١٧) ١٨٥٢/٨ ــ رقم ٢٥ ٥٠ . الى مالسبورى نفارنخ ٢/٢/٢٥٨١ ٠

۱۱۸۱) تقی الملف بـ مسمسودة تسخیة رقم ۳ من مری لکائنج بتاریخ ۱۸۰۲/۳/۲۷ ۰

<sup>(</sup>١٩) تفس الوابقة السابقة .

 <sup>(</sup>۲۰) نفس اللف \_ تسخة ( بالفرنسية ) من رسسالة من فوباد الى مرى بتاريخ ۱۸۰۲/۳/۲۱ .

وعلى أى حال فقد سائدت بريطانيا عباس فى العواصسم الأوروبية الكبرى فى الوقت الذى أرسل فيه الباب العالى فؤاد أفندى الى مصر و وكان الهدف السرى من بعثة فؤاد هو اكتشاف القوة النسبية للأحزاب فى مصر واذا ما وجد حجة لفلع عباس عليه أن يستوثق مسا اذا كان من العملى فرض الطاعة للرمان يتضمن توليسة سعيد رئيس الحزب الفرنسي أو حزب الأسرة الحاكمة ، على أن يقوم فى حالة ادراكه أن نجساح مثل هذه المحساولة أمر غير محتمل بالعودة الى استالمول بعد أن يؤكد لعباس دلائل الصداقة والتقدير (١١) ٠

ووصل نؤاد الى مصر فى أوائل ابريل ١٨٥٧ ، وحين أبدى المبموث التركى قدرا من التعقل هدات كل مخاوف عباس الذى أبدى أنه لن يعترض على حقوق سيده وأنه لا يفكر فى الاستقلال أو فى تحدى الباب العالى ب ومما يدل على ذلك أنه قدم للخزانة التركية مبلغ ثلاثة مليون جنيه تركى لم يخصمها من الخراج (الويركو) المستحق على مصر بل انه دفع قيمة خراج عام ١٨٥٧ الى بنك سينا فى فينا باعتبارها ضمانا للقرض الذى تعاقد عليه مع بنك الحسكومة فى استائبول ، وكل ذلك مما ينفى وغيمة الوالى فى اعلان استقلاله (٣٣) ، والاء كل ذلك وانق

<sup>(</sup>۲۱) لقس الخليف ... وقدم ١٠ من مرى الى مالمسلسووى يقيساريخ ٢٠ مارس ١٨٥٢ ،

ا مارس ۱۸۵۳ . (۲۲) نفس الملف ــ رسالة من هاوروز الى مالمسيوري بتاريخ ١٨٥٢/٤/١٤

فؤاد على أن يمنح عباس حق الحياة والموت لمدة ست سنوات فيما اذا كان القيل لم يترك ورشا وقد طالب عباس بسماني سنوات بدلا من ست و وأمكن فى النهاية التوصل الى حل وسط فسمح لعباس بسبع مسنوات بعد أن وعد بأن يرسل لاستانبول كل حيثيات القصاص (٣) وبعد التوصل الى حل لمسكلة القصاص التقل فؤاد - الذى كلف بالتوسيط بين أفراد الأسرة الحاكمة ويين عباس (٤٠) لى مسألة ميراث محمد على وكانت هذه المسألة حساسة وغامضة بحكم أن الأسرة كانت تطالب بكل مصر التي لم يبق أمامها سوى الافلاس (٣) .

على أن هذه المسألة الأخيرة كانت ثانوية اذا ما قورت بمسألة التنظيمات التى اتفق حولها الرأى برغم ما اتضج من فحوى المراسلات من أن بعض الوزراء لم يتوخوا العناية فى دراسة مسألتى التنظيمات والقصاص من حيث تطبيقهما فى مصر بوجه خاص وفى البلدان الشرقية بوجه عام ــ اذ أن سيف العدالة فى هذه البلدانهو رمز السلطة وسرعة عقاب المجرمين هى الأسلوب العملى الوحيد لقمع الاضطرابات والقلاقل التى يثيرها البدو

<sup>(</sup>۲۲) نفس الملف .. رقصا ۱۹ و ۱۸ می مری الی مالسبودی بتاریخ ۱/۱۷ و ۱/۸/۲۰/۵ ۰

<sup>(</sup>۲۶) نفس اللف ـ رقم ۱۶ من مرى الى مالمسبودى بتاريخ ۱۱۸۵۲/۶/۱۱ -

<sup>(</sup>۲۵) نفی الملف .. رقم ۱۹ من مری متاریخ ۱۸/۵//۵۸ ۰

القاطنون فى الصحارى المجاورة لوادى النيل • الا أن فؤاد تناول المسألة بمهاوة حققت كل أهداف الباب العالى اذ ان منح عباس حق القصاص لمدة مسبع مسئوات كان اجراء نظريا لله فاذا ما نقلت كل حيثيات الحكم الى استائبول كان يسهل جدا اثناء مراجعتها أن توجد ثغرات من شأنها أن تثير نواعات خطيرة ، وكان خطا عباس أنه خلال مفاوضاته مع مقواد لم يقم باستشارة مرى أو أى قنصل عام آخر (٢٦) •

ومهما كان الأمر فقد عادت الملاقات بين عباس والباب العالى الى ما كانت عليه قبل احتدام النزاع و وحين نشبت معرب القرم أبدى عباس استعداده لا طهار ولائه للسلطان بوضع قوة برية وبحرية تحت تصرفه (٧٧) وجرت استعدادات في الاسكندرية لتجهيز السفن والرجال وذلك رغم أن اهمال الأسطول منذ توليه الحكم قد جعل السفن غير صالحة للنزول الى البحر أو القتال و أما البحارة فقد أخذ عدد كبير منهم من المسانع والسكة العديدية التي كان يجرى العمل فيها وأرسلوا الى الترسانة أو الى السفن و وجرى تشجيع الجنود على التطوع بنفس الأسلوب (٨٨) و

 <sup>(</sup>۲۹) نفس اللف .. رقم ۲۲ من مری (لی مالسبوری بتاریخ ۲۰/۵/۲۸۰ .
 (۲۷) نفسه .. وزارة الخارجية الی جون جرین بتاريخ ۱۸۰۲/۷/۵

<sup>(</sup>۲۷) نسته \_ وراوه الحارجية الى جون جرين الى ستراتفورد دى ودكليف

<sup>(</sup>۲۸) ۱۱۹/۷۸ ـ رفام ۲ من جون جربن الی مسراسورد دی ردسیت بتاریخ ۱۸۰۲/۱/۲۳ -

وفى ٢٠ يوليه ١٨٥٣ بدأ تحرث انسفن والقوات و وأبدى المصريون المسلمون الذين أثارتهم الاستعدادات الحربية والأخبار التي أيقظت مشاعرهم الدينية بعض التعصب الذي كانت له آثار سيئة ، رغم أنهم لم يقوموا بما يتعدى الكلام ، ولو أن احتدام المشاعر هسذا أدى الى مقتل أو جرح بعض الرعايا البريطانيين برغم الاجراءات المتشسددة التي اتخذتها الحنكومة المصرية لقمع النزعات التعصيبة لدى السكان ولو أن هسذا لم يهدى، روع المسيحيين المشارقة في حين أن احتدام مشاعر السكان الأوروبيين أدى الى توقع أعمسال العسدوان منهم لا من المسلمين (٢٩) ، وبالإضافة الى ذلك فقد جرى سعب الإقباط المجندين في الجيش النظامي من الخدمة المسكرية ووضعهم في أعمال السكرية ووضعهم في أعمال السكة الحديدية (٣٠) ،

ورغم ذلك فان الأحوال الداخلية للبلاد ككل كانت هادئة الصرامة الحكومة (١٣) خاصة وأن المنافسة بين انجلترا وفرنسا قد غطى عليها انضمام الدولتين الغربيتين الى الدولة المشانية ضد روسيا و وبالاضافة الى ذلك فقد جرى نقل مرى الذي أدت علاقته الشخصية بعباس الى غضة الطرف هن مساوىء سياسته

 <sup>(</sup>۲۹) تفسى اللف ... رتم ه من جرين الى كلارتدون عاريخ ۱۴ افسطسي
 ۱۸۵۲ .

<sup>(</sup>٣٠) نفس اللف .. من حرين الى أدنجتون بتاريخ ٨ اغسطس ١٨٥٢ .

٣١١) نفس اللف .. وقم ١٤ من جربن الى كلارتدون بتاريخ ١٨٥٣/٩/١٩ .

الداخلية و وأرسلت تعليمات الى القنصل البريطاني العام المجديد ـ بروس ـ لكى يقيم علاقات طبية مع زميله الفرنسي \_ ساباتييه ـ مع لفت نظره الى أن محاولات الايقاع بينهما يمكن تلافيها بالاتصال المباشر والعمل المشترك و وجرى توجيه نظر بروس الى ضرورة لفت نظر الباشا الى أن الحكومة البريطانية لا ترغب في الحصول على تفوذ سياسي أو في الالقراد بالنفوذ في مصر أو تمكير العلاقات القائمـة بين السلطان والوالى ولو أنه يحق لها أن تتوقع نطبيق المعاهـدات وتمتع رعاياها بالعدالة المطلقة و كما وجه نظره الى ضرورة التهاز كل المفرس ليؤكد للباشا أن المجاترا لا ترغب الا في أن تتمتع مصر بالرخاء والتقدم وأن تظل بمثابة الطريق الى الهند وأنه طالمـا يحافظ على سلامة هذا الطريق يكون جديرا بصداقة الحكومة البريطانية ومساعدتها (٢٠) و

ويبدو أن الحكومة البريطائية أدركت تتيجة للعمل المشترك مع فرنسا ضد روسيا مدى ضرور المنافسة القديمة بين الدولتين وهى المنافسة التى أدت الى خلق حزبين فى مصر يعتمد أحدهما على الموظفين القرنسيين فى الحكومة المصرية الذين كانوا يسعون الى اقتاع الوالى بأن كل اصلاح تتبناه المجلرا لا يهدف الا الى

<sup>(</sup>۱۳۲/۷۸) ۱۰۳۲/۳۱ .. وقد ۱۳ .. وقادة الفادجية الى بروس بشاديخ ۱۸۰۴/۳۱ ۰

التمهيد للاحتلال البريطاني و أما الحزب الآخر الذي كان يقوم على المؤيدين المنفوذ البريطاني فلم يدخر أنصاره وسعا في تشويه أي خطوة يخطوها ممثل فرنسا للدفاع عن حقوق ومصالح الرعايا الفرنسيين و وتتبجة لهذا الوضع كان الوالي يشك في كل ما يقترح عليه بصدد إدخال الاصلاحات على ادارته الداخلية ويبالغ في الأهمية المضفاة على ابداء الصداقة وصعن النية له مستغلا ذلك في الاساءة الى الأشخاص والسعى الى احياء نظام الاحتسكار و

لكل ذلك اعتقد بروس أن حسن التفاهم والصراحة مع قنصل فرنسا العام من شأنهما أن يؤديا الى وضع حد للمؤامرات التى ألحقت الضرر بالاصلاحات ولهذا لفت نظر ساباتيبه الى ضرورة اتحاد انجلترا وفرنسا فى اقناع عباس بالقضاء على كل أسباب الشكوى المترتبة على سوء ادارته واهماله والتخلى عن نظام الاحتكار الذى كان يعود اليه بالتدريج وكان رد ساباتيبه أنه يقر خطأ سابقيه الذين كانوا يسمون الى اكتساب النفوذ مما أدى الى أسوا النتائج وأنه يحبذ مشروع السكة الحديدية الذى زكاه لدى الوالى و ولكنه أشار الى الميزات الممتوحة لشركة بننسولار وأورينتال دون غيرها مما كان يشكل خرقا للمعاهدة المعقودة بين الباب العالى وفرنسا التى منحت خرقا للمعاهدة المعاهدة على وضع الدولة الأولى بالرعاية و وأقر بمقتضى هدة المعاهدة على وضع الدولة الأولى بالرعاية و وأقر

ساباتيبه أن مصالح انجلرا تفوق مصالح فرنسا وأبدى استعداده للميام بعمل مشترك لحفز الاصلاح ، ثم آكد يروس لساباتيبه أن الحكومة البريطانية لا تسعى الى احتكار النفوذ فى مصر بل كل ما يهمها هو تحسين المواصلات الى الهند عبر مصر واصلاح ادارة البلاد وأن من واجب فرنسا أن لا نفار أو تشك فى ذلك وكان يحبذ تضامن الدولتين الغربيتين الذى من شانه أن يرغم الوانى على التخلى عن مشروعاته الاحتكارية وعلى اصلاح ادارة البلاد (٣) ، وحين لمس عباس هذا التضامن عاد الى توثيق علاقاته بالباب العالى مما أضعف نفوذ ممثلى الدول الأوروبية الذى تتج عن مسوء علاقاته بالباب المالى ما جمل بروس يؤجل اثارة الشكاوى الى ما بعد انتهاء الحرب من الدولة العشائية وروسيا (٤٩) ،

وأرسل عباس ٥٠٠٠ جندى الى تركيا وخطب ابنة السلطان عبد المجيد الى ابنه الهامى وطلب من الباب العالى أن ينعم عليه بلقب « العزيز » وراوده أمل فى تعديل نظام وراثة العرش لصالح ابنه الهامى (٣) ، على أن كل ذلك لم يتمخض عن شىء تتيجة لوفاة عباس المفاجئة فى ١٣ يولية ١٨٥٤

<sup>(</sup>٣٣) ١٠٣٥/٧٨ \_ بروس الى كلارندون بتاريخ ١١/٣/١٦١ .

<sup>(</sup>٣٤) تفسه سه تسخة رقم ١ من بروس الى ودكليف في ١٨٥٤/٣/١٥ ٠

<sup>(</sup>٣٥) لفسه ... رقم ٣٩ من بروس الي كلارتدون بقاريخ ١٣ أغسطس .

وهى الوفاة التى يرجح أنها كانت تنيجة أزمة عصبية (٣) مرتبطة بقلقه بصدد تعديل نظام وراثــة العرش واحتمــال انهيـــار الامبراطورية العثمانية وطمعه في اتخاذ لقب الخلافة •

وقد سعى انصار عباس الى تأخير تولى سعيد الحكم الى أن يمكنهم التآمر فى عاصمة الدولة لضمان الحكم لالهامى • الا أن قنصلى بريطانيا وقرنسا تدخلا تنفيذا لشروط تسموية مهدد ما ١٨٤١ بالصورة التى ضمنت العرش لسعيد •

وكان سعيد حين تولى الحكم فى الثامنة والثلابين من عمره وكان يتقن اللفتين الانجليزية والغرنسية كما كان معروفا بعيله الى فرنسا • وقد رحب كل سكان مصر بتوليه الحكم بسبب سخطهم على عباس الذى أرغم الكثيرين على العمل فى بناء قصوره وتنفيذ مشروعاته الأخرى واصطنع القسوة فى تشغيلهم ، هذا الى بخله • واستهل سعيد حكمه بالصفح عن الاساءات التى تعرض لها هو وأبناء ابراهيم وبارسال رسالة ودية الى الهامى وتصريحه بأنه لن يعيل الى فرنسا أو لا نجلترا بل سيكرس جهوده لتحقيق رخاء مصر •

ومهما كان الأمر فقد آذن عهد سعيد بفترة كان مقيضا لها أن تلحق أبلتم الضرر بمصر وسكانها ٠

<sup>(</sup>۳۹) نفسه ... رقم ۳۵ بتاریخ ۴۹/۱/۱۵۹۶ ورقم ۳۹ امسلاه ... وکلاهما من بروسی الی کلارتادون -

## الموضسوع الثساني

انهیار نظام الاحتکار فی مصر بعد عسام ۱۸۶۱

يسجل عهد محمد على نهاية العزلة التي خيمت على مصر في أعقاب الكشوف البحرافية والفتح العثماني كما يسجل انخراطها في الاقتصاد المعالى و فلقد شهد حكم محمد على بداية انتقال مصر من الاقتصاد المفلق الى الاقتصاد المفتوح وتميز بسيطرة الدولة على القسط الأكبر من النشاطات الاقتصادية(١) فما أن تخلص من أخطر خصومه السياسيين ما أي المماليك ما عام ١٨١١ حتى بدأ يطبق نظام الاحتكار الذي ما لبث أن شمل كل نشاطات مصر الاقتصادية : فقد وضع يده على معظم أراضى البلاد وسيطر على اقتصادها (٢) وصناعاتها ، وذلك بعد مصادرته للأراضى التي منح مساحات كبيرة منها الإبنائه وأقاربه وضباطه و

ولم يخصص توزيع الأراضي هذا لأى قانون بل كان وليد مزاج الباشا ولم يصحبه أى تحر عمن كان يمتلك هذه الأراضي في عهد المبكوات المماليك الذين قضى عليهم أو اضطرهم الى الهجرة ، ويبدو محصد على افترض أن كل الأراضي التي لا يوجد لها مالك فصلى أصبحت تابعة للحسكومة ، وبالتسالي فانه فرض عليها نظام الالتزام أو قام بتوزيعها أو بزراعتها لحسابه الخاص بالشكل الذي يعود عليه بأقصى ربح ممكن (١) ولقد عاني الفلاحون العاملون في هذه الأراضي من مختلف الصعوبات وهبط مستواهم حتى أصبحوا في وضع شبيه بأقنان الدولة بحيث هاجر عدد كبير منهم من قراهم أو من مصر • كما ضيق نظام الالتزام على الصناعات وبخاصة اليدوية منها وقضى على ما تبقى لها من روح المبادرة الحر (٢) •

أما التجارة فكانت تتم اما عن طريق الالتزام أو احتكار الحكومة ، وكانت تنجرى ادارتها بالصورة التي تعود على الوالى بأقصى ربح ممكن : فكان يصدر فرمانات تنص على بيع سلعه للتجار الذين يفضل التعامل منهم ، كما كان يعمد الى رفع الأسعار بشتى الوسائل مما أدى الى شلل التجارة المحلية ،

 <sup>(</sup>۳) وثائق وزارة الخارجية البريطائية ـ الملف ۳۹٥/۱۹۵ ـ الوثيقة
 رقم ۱۰ من مرى لي كانتج بتذريخ ۱۸۵۲/۲/۲۱

<sup>.. ()</sup> راجع ; على الجربتلي : تاريخ السنامة في مصر ( القاهرة ) () Issawi, Egypt in Revolution (London, 1968), P. 48.

وفى عام ١٨١٨ كان تسعة أعشار التجار من المغامرين الأجانب الذين بدأوا نشاطهم دون رأسمال يذكر - فلدى وصولهم الى البلاد كانوا يقيمون علاقات مع أحد رجال حاشية البائدا ويطلبون منه أن يصدر لهم فرمانا يمنحهم كمية معينة من الحبوب التى يدفع ثمنها بعد مرور عدة أشهر على استلامها ، وهدذا الثمن كان يساعدهم على الاتجار الذي تعززه صلاتهم ببعض رجال الحكومة (°) ، وكان بامكان هذه القلة من التجار المحظوظين من ايطاليين ويونانيين ، أن يقدموا لمحمد على قروضا مالية كان بعضها بمثابة عربون لشمن الحبوب المتوخى تقديمها (°) ، ومما أدى الى تعقيد احتكارات الحكومة تدخل قناصل الدول ومما أدى الى تعقيد احتكارات الحكومة تدخل قناصل الدول تجارة واسعة النطاق عادت عليهم بأرباح طائلة (۷) ،

وقد طبق نظام الاحتكار على البلدان الأخرى التى امتدت اليها سلطة الوالى ، وكان من الصرامة فى السودان بحيث توقف السكان عن احضار سلعهم الى الأسواق • وفرضت الحكومة ضرائب على نقل المنتجات من مكان الى آخر مما عرقل الحركة

Helen Rivlin, The Agricultural Policy of Muhammed Ali in (e) Egypt, P. 175.

 <sup>(</sup>١) وثائق وزارة المفارجيسة البروطانيسة .. بارنت الى كانتج في أول
 ديسمبر ١٨٤١ .

<sup>(</sup>۷) محمد فؤاد شبکری وزمینلاه ؛ بتساد دولة ... مصر محمد علی (القامرة ۱۹۶۸) ؛ ص ۲۰۶ ،

التجارية - اذ لم يستثن من احتكارات العسكومة سوى العبيد • وفى كريت جرى احتكار الزيت (أ) ، وفى الشام طبق نظام الاحتكار بوجه عام وبخاصة على الحرير • وكان هذا النظام من أهم العوامل التى جعلت محمد على يسعى الى التوسع فى شبه الجزيرة العربية خاصة وأن رغبته فى احتكار البن دفعته الى ارسال حملة الى اليمن (١٨٣٧ - ١٨٣٨) (أ) • وأدى كل ذلك الى اضمحلال تجارة الترانزيت بين افريقيا وشهبه الجزيرة العربية (١٠) •

وقد جنى محمد على آرباحا طائلة من الاحتكار الذى كان الركيزة الأساسية لسياسته المائية وآداته لتجهيز جيشه وأسطوله والانفاق على حملاته الحربية • وفى ظل هذا النظام الاحتكارى أصبح محمد على فى الواقع هو الوحيد الذى يمسك بزمام حركة التصدير فى مصر ، اذ كان ما مقداره . المائم مشابهة على الصادر حكرا عليه » ولكن لم تكن له سيطرة مشابهة على الواردات ب فقد كان يخضع للتعليمات الواردة فى مرسوم سلطانى كان ينص على أن اتفاقا دوليا قد تم التوصل اليه بين الباب العالى والتجار الأجانب الذين حصلوا على حق ادخال

 <sup>(</sup>A) زينب عصمت راشد : كريت تحت الحكم المصرى ( الغاهرة ) ١٩٦٢ ) .

<sup>(</sup>٩) بناء دولة ، ص ده ــ ٧٠ .

<sup>(</sup>۱۰) خبلاف ٤ ص ١٥٥ .

سلعهم الى كل أرجاء الممتلكات السلطانية بشرط رفع رسم استيراد قدره ٢/ ، وكان تطبيق هــنه القاعدة يوفر التجسار الأجانب مركزا متميزا بحكم أنهم كانوا يدفعون رسوما أقــل مما يدفعه الرعايا العثمانيون من مسلمين وغير مسلمين ، على أن معمد على كان أكبر مستورد في البلاد والدليل على ذلك أن معمد على كان أكبر مستورد في البلاد والدليل على ذلك أن معمد على حاردات عام ١٨٣٦ كانت لحساب الحكومة (١١) ،

وقد تطور نظام الاحتكار الذي فرضه محمد على في الوقت الذي كانت فيه التجارة الحرة قد وطدت أقدامها في أوروبا الغربية ، خاصة وأن ازدياد الاتتاج في بريطانيا قد استازم محاولة الحصول على فرص تجارية متزايدة وجعل الحكومة البريطانية تسمى الى دراسة أحوال التجارة في شتى أتحاء العالم بهدف اعادة النظر في الماهدات القائمة والحصول على أحسن الشروط للتجارة البريطانية (١٢) ، وتمشى السلطان المشمائي معمود الثاني مع اتجاهات بريطانيا بحكم أنه كان يسعى الى تدمير أكبر مصدر لدخل محمد على بحيث يمكنه أن يزعزع قدرته على الاحتفاظ بجيش قد يهدد السيادة الشمائية على مصر وأملاكها ، فعرض على الدول الأوروبية أن

A.E Crouchley, The Boonomic Development of Modern (11)
Bgypt (London, 1988), PP. 88 --- 9

<sup>(</sup>۱۲) رفلن ، ص ۱۸۲ … ۳ ـ ایفسا کروتشلی ، می ۲۰ - ۳۱ ۰

يبنحها تنازلات واعفاءات جمركية وذلك بهدف اقامة العراقيل في وجه الوالى واضعاف علاقاته بالدول العظمى • وفى عام ١٨٣٤ أصدر فرمانا ينهى الاحتكارات الحسكومية فى الشمام ، وفى ١٦ أغسطس ١٨٣٨ وقعت الاتفاقيسة الانجليزيسة للتركيسة ( أو معاهدة بالطة ليمان ) (١٦) التي كانت تهدف الى تحطيم المارسات الاحتكارية فى الامبراطورية العثمانيسة • وكان أهم ما نصت عليه هذه المعاهدة ما يلى:

## ١ ــ التبادل الحرللمنتجات ٠

٢ ــ منح الرعايا البريطانيين وضع الدولة الأولى بالرعاية
 وتمتعهم بكل المزايا الممنوحة لرعايا الدول الأنجرى •

۳ ـ تحدید الرسوم علی الواردات به ۳/ مع اضافة ۴/ علی القطاعی والفاء الضرائب الاضافیة علی الواردات .

٤ - تحديد الرسوم على الصادرات بـ ١٢٪ وأن يدفع المسدرون الأجانب ٣٪ منها .

وحين أحاط محمد على بتوقيع معاهدة بالطة ليمان صرح بأنه سينفذ شروطها ، خاصة وأنه كان يدرك حاجته الى عطف

<sup>(</sup>۱۳) يرجد نص الانفائية في :

J.C. Hurewitz, Diplomacy in the Near and Middle East Princeton, 1956) I, PP, 110 -- .21.

الدول الأوروبية الِتني كان يسعى إلى الحصــول.على مساعدتها له في صراعه المرتقب مم الدولة العثمانية • ولم يشترط الا أن يمتنع التجار الانجليز عن مطالبة المزارعين بشراء المحمدول قبل جنيه • على أن يتمكنوا من شرائه بمجرد نقله من الأرض ، كما سمع بأن يتمتع المزارعون بالحرية الكاملة فى نقل محاصيلهم الى السوق وأن يتصرفوا فيها كما يشاءون وأن يبيعوها لمن يقبل شراءها (١٤) • وبعد أن انتهى نزاع محمد على مع الباب العالى صرح بأنه راغب عن الاحتكارات على اعتبار أنه مقتنع بأن حرية التجارة في مصلحته (١٠) · على أن القنصل البريطـاني العمام في مصر ما الكولونيل بارنت م توقع أن يحماول محمد على التهرب والتسويف وتأجيل تطبيق التجارة الحرة على مصر وذلك لوجود أشخاص يفيدون من استمرار الأوضماع القائمة تتبجة للنفوذ القوى الذي حصلوا عليه لدى الوالي الذي كانت مصلحته تنطابق مع مصالحهم (١٦) ، وقد ثبتت صحة توقعات بارنت ، بحكم أن الوالي لم يكن على استعداد للاستغناء عن احتكاراته وأبدى رغبته في ابداء أقوى مقاومة ممكنة قبل أن يرغم بالتدريج على قبول شروط معاهدة بالطة ليمان والمعاهدات المماثلة

<sup>(</sup>۱٤) برالي ٢ من ١٨٥ ـ ٢ ،

<sup>(</sup>۱۵) ۱۳۰۵۰ المئت ۱۳/۱۲۲ ، الوثنقسية رقم ه من ية لب يشياريخ ۱۹ المسطس ۱۸۶۱ -

<sup>(</sup>١٦) نفس الملف ، رقم ١٨ من بارثت بناريخ ١٩ سيتمبر ١٨٥١ -

الموقعة بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية الأخرى (١٧) •

وكان اللورد بالمرستون، وزير الخارجية البريطانية ، يمتقد منذ البداية أن الاحتكار لا تقل آثاره اذا ما امتد الى بلد بأسره بدلا من امتداده الى جزء من هـذا البلد ، لأن هـذا الاحتكار كان يفرضه المحمد على على مصر، كان يفرضه الحاكم لمصلحته وحده بدلا من منحه لأشخاص معينين و وكانت الاحتكارات التى فرضها محمد على على مصر، لمصلحته الخاصـة ، تتناقض مع المعاهدة نفس تناقضها فيما لو كان قـد منحها ليستفيد منها أشـخاص آخرون و وازاء استحواذ الوالى على مساحات واسعة من أراضى مصر فقد كان من رأى بالمرستون أنه ما لم يكن قد حصـل عليها عن طريق الشراء فلا يمكنه الاحتفاظ بها الا اذا اعتبر حائزا لها باعتباره ممثلا لسيده السلطان (١٨) و ومما يجدر ذكره أن معاهدة لندن الموقعة رعايا السلطان (١٨) و ومما يجدر ذكره أن معاهدة لندن الموقعة في عام ١٨٤١ كانت تنص على وجوب احترام كل المعاهدات التجارية التي عقدها الباب العالى مع الدول الاجنبية و

وقد قدم محمد على المتجار بعض التازلات الصغرى حين

<sup>(</sup>۱۲) بادرت الادول الآلية الى عقد معاهدات معائلة مع المدولة المتعاقبة : النمسا باجيكا .. فرنسا حامسية الهائسا - سردينيا السحويد - الترويج -اسمائيا .. مواندة - الدائمرك ( ناه دولة ) ص ۵۹ ) .

 <sup>(11)</sup> ملة، وزارة الخارجية البريطانية ٧٠٨/٧٨ ـ بالرستون الى كاميل
 (1) اكتوبر ١٨٣٠ -

سمح لهم بالاتصال المباشر بالفلاحين وذلك رغم احتفاظه بحق تعديد سعر السلعة وشراء المنتجات بالسعر الذي يحدده ما لم يشترها شخص آخر (١٩) ، وفي أغسطس ١٨٤١ وجد بارفت أن معاهدة ١٨٣٨ لا تطبق وعزا ذلك الى عدم امتناع الأفراد عن تقديم الشكاوى الواضحة من الحكومة تتيجة لخرقها للمعاهدة اذكان بعضهم يخشى اغضاب الوالى الذي كانوا يدينون له برواتهم ، في الوقت الذي كان فيه آخرون يفضلون الوقوف بوقها سلبيا في حين اعتقدت القلة ألا فائدة على الاطلاق من القيام بأى تحرك وأن من الأقضل ترك الأمور تسير في مجراها ، لهذا كله صعب على بارنت أن يعشر على حالة محددة تمكنه من أن ينبى عليها شكواه (٣) ، وهكذا استمر احتكار السفن التي تبحر على النيل وترعة المحمودية ، وازاء عدم السماح بامتلاك السفن واستئجارها فقد ثبت ألا جدوى من حرية شراء منتجات البلاد (١٣) ،

واشترك بارنت مع القنصلين العامين الروسى والفرنسى وعدد غير قلبل من التجار البريطانيين فى الاحتجاج على هــذا الاجراه ، فوعــد محمد على بالاستجابــة لاحتجاجاتهم • وكان تعليق بارنت على ذلك وجوب مواصلة الضفط على الوالى قبل

<sup>(</sup>۱۹) رقان ۽ من ۱۸۹ -

<sup>(</sup>۲۰) بارلت الى كائنج في أول دىسمىر ١٨٤١ •

<sup>(</sup>٢١) بارثت الى كانتج في ٢٠ مارس ١٨٤٣ -

أن يتحقق ما يشبه عرية التجارة في مصر وأنه ما لم يشد الباب العالى أزر بريطانيا بصدد تطبيق معاهدة ١٨٣٨ على مصر فسيجد محمد على باستمرار حججا لتنصله من تطبيق بنود المعاهدة التي تمس حقه في الاحتكار ٠

وردا على الاحتجاجات المتكررة التي تقدم بها بارنت الى الوالي أكد مصد على مرارا وتكرارا رغبته في الفاء الاحتكارات بالتدريج وتطبيق حرية التجارة على مصر ، وأشار الى صعوبة اجراء تغيير مفاجىء على نظام استمر فترة طويلة وذلك رغم استغلاله لماهدة ١٨٣٨ في رفع رسوم التصدير والاستيراد ، وحينتذ أبلغه بارنت أنه في حالة عدم الغاء الاحتكارات سيضطر الى ابلاغ التجار البريطانيين بأنهم في حل من عدم دفع الرسوم الإضافية على التصدير والاستيراد التي نصت عليها معاهدة المهديرين وغيرهم من الموظفين حتى لا يثيروا العراقيل واضحة للمديرين وغيرهم من الموظفين حتى لا يثيروا العراقيل المراء القطن والحبوب وغير ذلك من منتجات مصر من ورغم نجاحه المراء القطل على قرض الرسم بشكل آخر عن طريق فرض في جدوى العمل على قرض الرسم بشكل آخر عن طريق فرض ضربية على تجار القطاعي في المدن (٣) ، وقد أصدرت حكومة ضربية على تجار القطاعي في المدن (٣) ، وقد أصدرت حكومة

<sup>(</sup>۲۲) الملف رقم ۱۳/۱۶۲ ـ رقم ۳ من مارات بشاریخ ۱۷ پشایر ۱۸۶۲ .

النمسا أوامرها الى قنصلها العام بالاشتراك مع بارنت في القيام بجهد بصدد هدف المسألة ، كما صدرت تعليمات الى قنصل فرنسا العام بأن يبذل كل ما في وسعه بالتنسيق مع قنصلي النمسا وبريطانيا لاقناع الوالى باتباع نظام البيع العلني بالمزاد وهو ما وعد مرارا وتكرارا بتنفيذه (٣) .

ورغم ذلك كله فقد واصل محمد على اتباع سياسة الاحتكار واقترح على بعض التجار أن يبيع لهم قطن مصر والسودان ومعاصيلهما بسعر مخفض فى مقابل بعض التسهيلات المالية التي يقدمونها له (٢٠) • كما قرر بيع كمية كبيرة من القمح كان قد عرضها فى الماضى على بعض الإطراف (٢٠) • وفى تلك الإثناء كان يفيد من بنود المعاهدة التي مكنته من رفع الرسوم على الصادرات والواردات • وكان بارفت يرى آن آهم المفار التي كان من المكن أن تواجه التجارة البريطانية ، فيما لو أمكنت ازالة كل المصاعب الأخرى ، ترتبط بالنظام الذي كان الوالى لايزال يعرضه فيما يتعلق بالاستيلاء على أراضى الفلاحين مما كان يعنى أله يفرض بالتدريج احتكارا لكل منتجات

<sup>(</sup>۲۳) نقس الملق ، وقم ۹ و ۳۹ ص بادلت بتاریخ ۲۴ فبرایر ۱۸۵۲ ۱ ۱۷ نولمدر ۱۸۹۳ ۰

<sup>(</sup>۲۶) من دارثت بتاريخ ۲۱ آفسطس (۱۸۲۱ ،

<sup>(</sup>۲۰) الملف ۱۸۷/۶۱ه ـ رقام ۳ وزارة الفارجيسة الى بارنت في الريات ال

البلاد (٢٦) • فقد منح آفراد اسرته ما يقرب من كل شسفالك الصعيد وذلك سعيا منهالي التهرب من بيع محاصسيل هده الأراضي بالمزاد العلني في الوقت الذي كان يستطيع فيه أن يمنعها الأصدقسائه (٢٧) • كما كان قد أصبح مالكا لثلثي الأراضي الصالحة للزراعة في مصر وكان يضسع يده على نسبة كبيرة من منتجات الفلاحين التي كانت الحكومة تشتري قدرا منها بالسعر الذي تحدده وتأخذ قدرا آخر في مقابل الضرائب •

ولهذا فاذا ما اعتبر مالكا للأرض كان حر التصرف ف المحصول ، أما اذا اعتبر حاكما لمصر فانه كان يتصرف ف الأراضى بالنيابة عن سيده السلطان وحينئذ كان عليه أن يطبق المادة الثانية من معاهدة ١٨٣٨ (٨٨) ، التي نصت على يبع محاصيل

<sup>(</sup>۲۹) من دارنت فی ۳ پنسایر ۱۸۶۲ ۰

<sup>(</sup>۲۷) ۸۷/۲۰۸ ـ من بارنت متاریخ ۱۵ باسام ۱۸۹۶ .

<sup>(</sup>٨) كان نص هده المادة كالآمي: « بسمع لرعابا جلاله ملكه بريطاني المندوريهم دان دشتروا في كل الأماك المناخلة ضمن الأحد الاك العثماليسية ( سواء بالنسبة التي المتحارة الداخلية أو التعسدير ) ، دون أي استثناء أ منتجات أو تطوير أو محاصيل هذه الأملاك ويتعبد الباب المالي وسميا بالماء كل الاحتكارات المروضية على المنتجات المؤونية أو كل سلمة أخرى ، وكلاك الفاء كل الدعر بحات التي بعصدوما المتكام المطبون لشراء أي سلمة أو نقايا من مكان الى آخر بعد فرائها ، وكل محساولة تبلل لايضام رعايا جبلالة على أم امتلام من هدا النصريحات من الحكام المحليين ستعتبر فرقا على من الحكام المحليين ستعتبر وزراء وفيهم من الموقون اللبن برتكبون مثل هداه المفافيات ، وسيجري والناها الريطانية بالاس برتكبون مثل هداه المفافيات ، وسيجري المضائر التي نشت بمرون الزمن أنهم قد تعرضوا لها » .

الأراضي بالمزاد العلني ، وهو ما كان يطبق في استانبول على المحاصيل التي في يد الحكومة العثمانية (٢٩) ، وقد انصاع معمد على لضغط القناصل وآصدر تعليمات تقضى بمنح الأجانب حتى بناء المعنن من أجل استعمالهم الخاص وبأن ينقلوا عليها منتجات البلاد بشرط أن يقوم بالفدمة فيها ملاحون مصريون وأن تعمل العلم التركى ، ولكن قبل أن يتمكن التجمار من بنساء السفن لمسوا صعوبة استنجار مزيد من السفن في حين أن من كانوا يمتلكون سفنا لم يستطيعوا الصصول على ملاحين ، وقد قبل في ذلك أن احتكار السفن قد اتنهى برغم كون الملاحين من رعايا الباشا الذين لا يمكنهم التصرف الا بحسب من رعايا الباشا الذين لا يمكنهم التصرف الا بحسب مشيئته (٢٠) ،

وحاول بارنت اقناع الوالى بالتخلى عن احتكار وسائل النقل وفتح المناطق الداخلية من البلاد آمام ملاحة الأجانب وذلك رغم أن التجار البريطانيين كانوا لا يتجهون الا نادرا الى داخل البلاد بقصد شراء العنطة أو غيرها من المنتجات \_ فهم كانوا يفضلون الشراء فى الاسكندرية على المتاعب والمخاطر التاتجية عن نقل السلم عن طريق النيل (١٦) و ولم يلتزم محمد على بأى وعد بصدد احتكار وسائل النقل ، بل انه احتكر الطريق البرى

<sup>(</sup>۲۹) الملف ۱۹/۱۶ه ـ دتم ۲۷ من بارنس بتاریخ ۱۹ اغسطس ۱۸۹۳ .

<sup>(</sup>۳۰) رفلن ، س ۱۸۷ -

المشد بين القاهرة والسويس ، وفى عام ١٨٤٦ انتقات خدمات النقل الى الحكومة المصرية وأصبح كل الموظفين الأوروبيين فى الشركة تابعين للحسكومة وانقصت رصوم السخر من ١٥ الى ١٦ جنيها مما آدى الى سخط المسافرين البريطانيين والحكومة البريطانية التى حاولت دون طائل عقد معاهدة مع الوالى حول الطريق البرى بين القاهرة والسويس ، كما اشترى محمد على الطريق البرى بين القاهرة والسويس ، كما اشترى محمد على مفن شركة بننسولار وأورينتال التى كانت تقوم بالنقل النهزى على النيل .

ورغم أن حمد على لم يعرض فطته فى المزاد العلنى ولم يبد أى استعداد للسماح لأى تاجر مستعد لدفع الثمن اللازم بالحصول على هذا القطن ، فان لورد بالمرستون لم يعتقد أن الوالى كان يسعى الى التهرب من شروط الماهدة ، وكان يرى أن الأمر لا يستدعى تدخلا من جانب الحكومة البريطانية . فقد يكون الاجراء الذى اتخذه مربحا له ، ولكن حتى يتضح أن الرعايا البريطانيين لا يعاملون على نفس الأسس المطبقة على رعايا الدول الأخرى لم يكن ثمنة مبرر للشكوى (٣) ، المسلما كان من رأى بارنت أن الأهر يستلزم ابلاغ التجار البريطانيين بأنهم فى حل من عدم دفع الرسوم التى نصت عليها الماهدة الا بعد أن تطبق كل نصوصها (٣) ، وقد وافقت

<sup>(</sup>۳۱) من بادئت بتاریخ ۲۰ مارس ۱۸(۳ ،

<sup>(</sup>٣٢) من وزارة الخارحية الى بارثت بتاريخ ٢٥ يولية ١٨٤٣ .

سنفيرها في استانبول سير ستراتفورد كانتج ( ستراتفورد دى ردكليف فيما بعد ) قد ذهب الى أن الباب العالى قد تعهد باقناع محمد على بالغاء الاحتكارات وبأن يمثنع من اتسارة ما يحمل الحكومة البريطانية على الشكوى منه فقد أرسلت التعليمات الى بارنت لكيسلا يتخذ أي خطوات آخري لحث الوالى على تنفيذ المعاهدة ما لم تصله تعليمات أخرى من وزارة الخارجية أو من كانتج وذلك بعد التأكد من تتائجالتدخل الذي وعد الباب العالى بالقيام به (٢٠) ، ولم ينكر الريس أفندى ( وزير الخارجية التركي ) عدالة الشكاوي البريط انية كما لم يعترض على موقف كانتج منها ، وان يكن قد آبدي كثيرا من التردد في اصدار أوامر علنية لمحمد على في ذلك الوقت ذاهبا الى أنه قد وعد بالفاء الاحتكارات بمجرد انتهاء مدة العقود القائمة خاصـة وأن الصدر الإعظم قد كتب الى الوالى بنفس الفحوى الذي طمالب به كالنج (٣٠) • الا أن بارث لم يبسد استمداده اتوقع تنيجة أيجابية جدا لمساعي الباب العالى بمسدد تتفيذ الماهدة في مصر الأن محمد على كان يستند الى حزب قوى في استانبول ولأن مثماكل الدولة العثمانيسة المسالية كانت تحول

<sup>(</sup>٣٣) وزارة الغارجية الى بارثت تاريخ ٢٤ مارس ١٨٤٢ -

<sup>(</sup>٣٤) نفي الوليقة .

<sup>(</sup>ه٣) الملف ١١٤١ ـ رقم ٢ من كالنج الى بارثت في ه مارس ١٨٤٢ -

بينها وبين اثارة محمد على الذى كان يحتمل آن يعمد الى تأخير دفع الارسالية التى كان على مصر أن ترسلها سنويا الى استانيول (٣) ٠

على أن محمد على أبدى فى ما يو ١٨٤٧ استعدادا أكثر من ذى قبل للتمشى مع مقترحات بارنت والقناصل العامين الآخرين ، فوافق على أن يقوم فى المستقبل ببيع منتجات الأراضى التى يمتلكها بالمزاد العلني ، فباع ٥٠٠٠٠ آردب من محصول بذرة السمسم المتوقع وباع كل كميات الحبوب التى توقع الحصول عليها بسعر يقل عما عرضه أربعة أو خمسة من التجار الذين اعتاد محاباتهم ، وقد ألغى اتفاق البيع بعد تدخل بارنت ، ومما تجدر الاشارة اليه أن الطلب قد اشتد على طلب بذرة السمسم فى انتاج فى فرنسا التى كان يجرى فيها استخدام زيت السمسم فى انتاج الصابون (٢٧) ، كما وافق محمد على على تطبيق معاهدة ١٨٣٨ وذلك حين وعد بوقف احتكار القطن بعد جنى المحصول التالى ،

ثم انتقل بارنت الى مسألة التعريفة التى حددت الرسوم الواجب دفعها عن مختلف سلع التصدير والاستيراد • وكان من رأيه أن التعريفة قد حددث دون ادراك كاف لمتوسط أسعار

<sup>(</sup>۳۱) الملف رقم ۱۹٫/۱۹۲ ـ المكاتب، رقم ۱۸ من بارنت الى وقائة الخارجية ۲۱ ابريل ۱۸۹۲ -

<sup>(</sup>٣٧) نفس الملف .. من بارثت الى وزارة الخارجية في ١٥ مايو ١٩٤٢ .

السلع المصدرة أو لنوعية وقيمة السلم المنتجة التي كانت تشكل آكبر نسبة في الصادرات البريطانية الى مصر (١٦٠) • وكانت كل السلم التي يجري انتاجها في بريطانيا وترد الي مصر تطبق عليها هــذه التعريفة ، ولمــا كانت معاهدة ١٨٣٨ تفرض تعريفة قدرها ٥/ على الواردات و ١٦/ على الصادرات فقد وافق محمد على في النهاية على اقتراح بارنت الخاص بدمع رسموم الاستيراد والتصدير (٣) • وبذلك أمكن التخلص من عقيـــة كبيرة بصدد تطبيق حرية التجارة في مصر ، ولكن رغم الفساء بعض الرسوم التي فرضت على البضائم لصالح التجارة البريطانية فقد ظل التجار البريطانيون يدفعون رسوما تزيد على ما كان يدفعه رعايا روسيا الذين كانت المعاهدات تسمح لهم باستيراد بفسائم الى داخل الأملاك العثمانية بعد دفع رسم الاستيراد البالغ ٣/ وهو ما كان يدفعه التاجر البريطاني مقابل كل الرسوم الداخلية الأخرى . وبعد الغاء هذه الرسوم والرسوم الداخلية كان الرعايا الروس يتمتعون بكل مزايا الغائها

<sup>(</sup>٣٨) سلغ رسم تصدير القطن اكتر من ٢٣٪ على حين بلغ دسم تصدير المصوف من ٣٠ الى ٢٥٪ و درون المجاموس المصوف ٢٠٪ والألميون ١٥٪ وكل أنواع المحبوب ما يتجاوز ١٢٪ وبلغ دسـم استيراد الاتفقة القطنية حوالى ٣٪ بدلا من ٠٥٠ •

نفس الملف \_ رقم ٢٠ من بارنت الى وزارة الخارجية في ٣٠ مايو ١٨٤٢ .

<sup>(</sup>٣٩) من تقس الشخص في ٢٦ مايو ١٨٤٢ •

دون أن يدفعوا مقابلا لذلك مما أعطـاهم ميزة ٢٪ على الرعايا البريطـانيين (٤٠) •

كما طبق نظام الاحتكار على السودان الذي ظل تحت الادارة المصرية بعد عام ١٨٤١ طبقا لفرمان خاص منح لمحمد على الذي سيق أن رأينا أنه كان منذ البداية قد اقترح على تجار معينين أن يبيع لهم محاصيل القطن والقمح في مصر والسودان مقابل الأموال التي يدفعونها له بين وقت وآخر وأن يسلم هذه محمد على لمحاصميل مصر والسمودان وأن يكون التجمار القليلون الذين يحصملون على همذا المحصول هم البائعون الوحيدون له ، وكان من المفهوم أنه سيتقدم ما لايزيد على ستة تجار ، ومعنى ذلك فرض احتكارين مما جعل من المستحيل أن تتنافس هيئة التجار في شراء أو بيم السلع لمن امتلكوها بهـــذه الوسائل • وقد يجوز القول بأنَّ الوالي بتنظيمه هذه الشركة من المشترين قسد تهرب من وعسده بتنفيذ بنود معاهسدات الامبراطورية العثمانية مع الدول الأجنبية • وهكذا اتضح أن الاجراء المقترح كان شديد الوطسأة على التجسارة العامة وعلى التجارة البريطانية بالذات وذلك على اعتبار أن المحتكرين لن يعجزوا عن أن يبيعوا لمواطنيهم وغيرهم بأعلى الأسعار في الوقت

۱۸٤٣ مارس ۱۸۱۲ دوبرتسون الى بارنت \_ أول مارس ۱۸٤۳ .

الذى تعترضهم فيه منافسة فى السموق العمام (<sup>13</sup>) • وفى مارس ١٨٤٢ أعلن بوغوص بك وزير التجارة والثشون الخارجية فى مصر أن الوالى قد أصدر أوامره الى حاكم سنار بأن يطلق المنان للاتجار بسلع البلاد من الحنة والصمغ والعاج والجلود وتبات السنا • وصدرت فى نفس الوقت أوامر من الوالى لنفس الحاكم بشراء كل همذه السلع لحسابه مما كان يمنى عودته الى سياسة الاحتكار وتطبيقها لمصلحته الخاصة (<sup>74</sup>) •

ومن الطبيعي آن تتجه كل منتجات سسنار الى مخارج لتجنب الأرباح الطائلة التي معي الوالي المحتكر الى الحصول عليها وكانت آهم هسذه المخارج ميناه مصوع وسواكن الواقسان على السساحل الغربي للبحر الأحصر و ولمساكان معمد على مصمما على تحقيق هدفه يكل الوسائل المكنسة فقد حصل من الباب العالى على حكومة المدينتين مما جعله يغلق كل المنافذ أمام منتجات سنار ويحمل تجار الصمغ الأوروبيان في جدة وغيرها على الاعتساد عليه في المحصول على هسند السلمة (") ، وكان وضع الوالي في المحودان أضعف منه في

<sup>(</sup>۱۵) الملف ۱۹۱۱ - رقسم ۲۳۱ من بولسخين الى بالرسسخون في ٣ افسخلس ۱۸۵۱ -

 <sup>(</sup>۲۶) ه۱۹/۱۹ ـ بارثت الى كانتج فى ٦ ابريل ١٨٤٢ ـ ايشية ٧٠٨/٩٨
 رشم ۶۹ من مرى الى بالمرسئون فى ١٠ أغسطس ١٨٤٧

<sup>(</sup>۲۶) ۱۰۸/۸۲۸ رقم ۱۵ من مری الی کولی فی ۱۵ پولیه ۱۸۵۲ •

مصر : فعلى حين أنه كان يحكم مصر على أساس وراثي فقد عهد اليه بباشوية سنار برغبة السلطان ورضاه ، خاصة وقد نص الفرمان على كونها باشوية منفصلة لا ينطبق عليها مبدأ الوراثة • وقد أدى هــذا الى احتجاج كل من بريطانيا وفرنسا والنمسا في كل من القاهرة واستانبول • وفي يونية ١٨٤٨ أصدر الصدر الأعظم فرمانا (٤٤) الى والى مصر يامره فيه بأن يمتنسم عن احتكار منتحات سنار • بل ان القنصل البريطاني العام \_ مرى Murray \_ ذهب الى أن تردد الوالى أو امتناعه عن تطبيق المعاهدة من شأنه أن يستتبع حث الباب العمالي على خلع باشوية سنار على موظف يرسل من استانبول رأسا واسترجاع الباب العالى لحكومة مصوع وسواكن بعد وفساة محمد على (٤٠) • وفى نوفمبر من نفس العام وافقت الحـــكومة المصرية على وضع حد لاحتكار ســنار بعد اللائة أشهر (٢٦) ٠ وصدرت الأوامر الى حاكمي مصوع وسواكن بألا يعرقلا تصدير الصموغ والسنا التي يمتلكها التجار البريطانيون (٤٧) •

<sup>()) (11/15) (</sup> لنخصة ) المستبدر الأحظم الى باشبا مصر بتاريخ لا يولية 1840 -

<sup>(</sup>۵)) ۱۹/۱۲۲ ... وقم ۲۲ من مری افی طارستون فی ۴ پولیه ۱۸۶۸ -

**توقمبر ۱۸(۸** ،

<sup>(</sup>۲۱) ۱۸۶۸/۲۷ ُـ من وزارة الشارجية البريطانية الى مرى بتاريخ اول تونمبر: ۱۸۶۸ -

<sup>(</sup>۷۶) ۸۸/۷۵۷ ـ من أرتين بك الى مرى في أول يولية ۱۸(۸ ،

وفي عهد عباس الأول ألغيت احتكارات سنار وأطلقت حرية تجارة الصمغ والسنا ـ وبقية منتجات هــذا الاقليم • كمــا أعاد عباس سواكن ومصوع الى الدولة العثمانية بسبب بعدهما عن مصر والأن محمد على لم يحصل عليهما الا للسيطرة على المخرج الشرقىالوحيدلمنتجات سنار والسودان ــ وقد وضعت هاتان المدينتان منذ ذلك الوقت تحت سلطة باشا جدة • ولم تتردد الحكومة البريطانية في تعيين ممثل قنصلي في الخرطوم بامكانه حماية التجار البريطانيين الذين ازداد نشاطهم ، منذ الفاء احتكار الصمغ والسنا ومنتجات سنار الأخرى ، في الاتجار بهذه السلم(مُثُمُ ، وفي عهد عباس الأول تدهورت التجارة الداخلية والخارجية وكانت النتيجة هي أن كسيات ضخمـــة من المنتجات والحبوب والقطن تكدست فى شمون الحكومة لعدم صلاحيتها للبيع بثمن يبلغ ٦٠/ من القيمة التي كانت عليها في العام السابق ــ وفي الوقت الذي كانت فيه الموارد الانتاجيــة ف مصر تعانى من الشلل استمر الانفاق على بناء القناطر الخيرية

<sup>(</sup>A)) (۱۱/۱۲۱ رقم) وزارة المشارجية الى مرى فى ۱۲ مارس ۱۸۰۰ ) . الوقت الدى كانت فيه المدينتان تقضمان لحكام يعينهم الباب المسالى رأسا نفسطت التجارة الى حد تمير ببنهما وبن جدة وبومىكى وأماكن آخرى قام بالاتجار فيها نحار معظمهم بريطانيون والمجلس به هنود (۱۲/۱۲۳ بـ رقم ۲ من مرى لكانج في ۱۲/۱۲۳ بـ رقم ۲ من مرى لكانج في ۱۸۲۸/۲۰ ) .

والترع والتحصينات وغيرها من الاستعدادات الحربية (١٠) . وكانت الغزائة خاوية وكانت كل ادارات الغدمة العامة مفلسة باستمرار وكانت القسوة الشديدة لاتزال تصطنع فى ارجاع الفلاحين الى شقالك الوالى بعد أن دفعهم سوء المعاملة والعوز الى مبارحتها (٥) ، وحين وجدت العكومة المصرية ألا فكال من تطبيق بنود المعاهدات وافقت على الفاء الرسوم التي كانت مفروضة حتى ذلك الوقت على بولاق ، ميناء القاهرة (١٠) ،

وفى عهد عباس جرت تغييرات كثيرة أثرت فى تجارة مصر وعلاقاتها الخارجية ــ فقد طبق دون هوادة أمر صدر لأول مرة فى عهد محمد على وبمقتضاه كان لايمكن تنفيذ أن اتفاق لشراء المحصول من الفلاحين عن طريق الدفع مقدما ، وذلك بالموافقة الضمنية من جانب القناصل العامين ، وكان كل ذلك فى البداية

<sup>(</sup>۲۹) ۱۸۲۸/۲۱۷ ـ بادئت الى بالمرستون في ۱۸۲۸/۱۷/۱۷ ورسسالة اخرى مؤرخة ۱۸۲۸/۷۷۲ -

<sup>(</sup>٥٠) نفس الملف \_ بارنت الى كانتج في ١٨(٥/٣/١٤ .

<sup>(</sup>۱۹) ۳۴۰/۱۹۰ حرقم ۲۹ من مري ألي بالمرستون في ۱۸६۲/۳/۱۹ م جرت معادلة بين مرى وارتين ، وقد رد مرى على ملعوظات ارتين عن صعوبة وضع حد للتورب بأن مثل ذلك بعدث بدرجة أكبر في الجلترا وفرنسا وان من واجب الحكرمة أن تواجه هـله الصعوبات وتنقلب طبها باقامة مراكز جمركية تتميز بالكفاءة في مدن ومواني الصعود لا في أماكن بالفاخل لما يتضمنه هـلاا من خرق للافاتيات التجاوية القائمة ،

<sup>(</sup> ۱۹۵/ ۳۲۰ ـ رقم ۲ من مری الی کائنج بتاریخ ۱۲ مارس ۱۸۶۹ ) .

موضعاً لبعض الشكوي من جانب صفار التجهار والوكلاء الذين اعتادوا على زيارة الأقاليم لشراء كميات صغيرة من المحصسول كانوا يقومون ببيعها في أسواق القاهرة والاسكندرية • على أن مثل هــذه الشكاوي لم تقدم فيما بعد ــ وقيل ان عهد عباس الأول الذي تميز بالتسماهل أدى الى اهممال همذا القمانون بعلم من الحكام المحليين كما وجد نظام يقوم على التهرب كان يتبع بنجاح بوجه عام • وكان الشخص الذي يتقدم بعروض الى الفلاحين بشأن محصول لم يتم جنيه يحصل من المزارع ، بدلا من عقد بالصورة المالوفة ، على كمبيالة مالية بمبلغ لا يشتمل فقط على الثقود التي دفعها بل أيضا على مبلغ آخر من شأته ، حسب تقديره ، أن يواجه ثمن السلمة في الوقت المتوقع للتسليم • وكان ثمة اتفاق شسفهي بين الأطراف ، وحين كان الفلاح يسلم المحصول كان مندوب التاجر يعفيه من تعهده المالي ، واذا ماعجز عن تسليم المحصول كان بالامكان أن يطلب من المحكمة المحليــة تنفيذُ الشروط المــالية للعقد التي رغم كونه مضمونا ، وكان بوجه عام مفيدا لحماية الأطراف المستعدة للتقدم بعروض للمزارعين ء

 تجرى بطريقة عادلة ، وفي فترات منتظمة أيا كانت حالة الأسواق. وعلى حين أن محمد على كان يبيع لحــوالي اثنتي عشرة وكالة معظمها يونانية وفرنسية كانت تبيع لتجار آخرين بأسعار عالية ، فان عباس كان يبيع بالمزاد (<sup>٥٢</sup>) · وقد ثار التجــار واحتج قناصل النمسا وسردينيا وتسكانيا على ما اعتبروه مصاولة من جانب الوالي لاحتكار كل المحصول وعرقلة اتصال التجار بالفلاخين بهدف جعل منافسة الأجانب له أمرا مستحيلا (٥٢) ، وكان في الواقع قد أصدر منشمورا دوربا يقضى بسريان النظام الذي كان يَطبق حتى ذلك الوقت من حيث تسليم المزارعين محاصيلهم ليبوت تجاربة قبل أن يدفعوا الضرائب المستحقة للحكومة وأن أي أشخاص يشترون من مزارعين مدانين تتيجة لذلك قد يتعرضون لالغاء صفقاتهم ومصادرة بضائعهم (الأ) ، مما يعني العودة الى تظام الاحتكار القديم وخرق المادة الثانية من معاهدة ١٨٣٨ • وقد احتج قنصل بريطانيا العام ــ بروس ــ على هذا الاجراء وأصدرت الحكومة البريطانية تعليماتها الى سنيرها في استانبول لكي يبلغ الحكومة العثمانية بأن النظام الذي يطبقه الوالي يشكل بصريح العبارة خرقا للمعاهدة (٥٥) .

<sup>(</sup>٧٥) ١٨٥٣ من والن الى باجت بتاديخ ٧ يناير ١٨٥٣ .

<sup>(</sup>۴ه) نفس اللف .. رقم ۷ من باجت الى رسل بتاريخ ۱۸۵۳/۱٫۳۰ . (۶ه) نفس اللف .. رقم ۲ من باجت الى رسل بتاريخ ۱۸۵۳/۱۸۸ .

<sup>(</sup>۵۶) نفس الملت ... دام ۱ من ناجت الى رسل بتاريخ ۱/۵۳/۱۸ . (۵۰) ۱۰۳۲/۲۸ مسودة رقم ۳۱ من وژارة الخارجية الى بروس بتاريخ

<sup>- 1408/7/17</sup> 

بضاف الى ذلك أن عباس أصدر أمرا في سبتمبر ١٨٥٣ يقضى بتحريم تصدير الحبوب بحجة أن فيضان النيل قد دمر نسبة كبيرة من المحصول • وازاء احتجاج القناصل وافق الوالي على تصدير الكميات الموجودة في الاسكندرية • ورغم سماحه بنقل الحبوب الى الاسكندرية فان الحكومة لم تسمح بالتصدير الحر ولم يفرج عما تمتلكه الحكومة أو الوالي لكي يشق طريقه الى السوق (١٥) • كما أصدر عباس أمرا ينص على أن تتوقف السفن المحملة بالحبوب في العطف - حيث يلتقي النيل بترعة المصودية ، وقد احتج بروس على ذلك وباشر الضغط من أجل تطبيق المعاهدات وصرح للسلطات المصربة بآن الوالى سيضم تفسه أفى مركز حرج بحكم أله سيجعل ادارته المنفصلة لمصر لا تتمشى مع تشدد الباب العالى في تطبيق معاهداته ، وقد قيل ان الوالي قد اتبع هـــذا الاجراء لكي يستولى على المحصــول بشن بخس على أن يبيعه بعد ذلك بما يعود عليه بالفائدة ، على حَيْنِ رأى آخرون على معرفة جيدة بالبسلاد أنه كان يخشى أن تطلب منه تركبا أن يزودها بكمية كبيرة من الحبوب ــ وقد ساد الاعتقاد بأنه كان يرغب في الحمسول على السلاح بحجــة المحافظة على الأمن موفرا بذلك حجة لرفض طاعة الأوامر (٥١) . وقد صرح عباس بأن الحكومة العثمانية طلبت من مصر أن

<sup>(</sup>۵) ۲/۷۸هـ۱۱ من بروس الى كلارتدور بتارسم ۱۸۵۴/۲/۱۲ . (۷) ندر اللف ـ رقم ) من بروس الى كلارتدون بتاريخ ۱۸۵۴/۲/۲ د

تزودها بالحبوب ووعد بأن تدفع تسعين قرشا في مقابل أردب القمح حين يتم تسليمه الى استانبول (٨٠) . ولمساكان شسديد اللؤم ولم يكن على استعداد لبذل التضحيات في سبيل الحرب الناشبة بين تركيا وبريطانيا وفرنسا من ناحية وبين روســـيا من جانب آخر ، فانه استحوذ على كل قطن البلاد ولم يقم ببيعسه مما يدل على حرصــه على أن يشاع عنه أنه يواجه صعوبة في الحصول على الأموال اللازمة للاصلاحات الداخليـــة التي كان يقوم بتنفيذها وأنه لم يدخر وسعا فيمساعدة الباب الغالي ، وذلك رغم أنه لم يتباين أن موارد مصر وأحوالها كانت معروفة تماما في استانبول (٥٩) • ولما وجد عباس أن اليونانيين هم المشترون الرئيسيون لمحاصيل المناطق الداخلية في مصر فقد قرر طردهم جسيعا من البلاد . وقد اشتد حاكم الاسكندرية في تنفيذ الأوامر الصادرة اليه بهذا المسدد ، وحين بدا أن احتجاجات الدول الحليفة لم تكن موضع اهتمام بعد أن طالبت باطالة أمد المهلة لصالح اليونانيين الذين كان من المحتمل أن تتعرض تجمارتهم واسعة النطاق مع البيوت التجارية لخسائر كبيرة فقد تم منح

<sup>(</sup>٨ه) ١/٩٣/١٨ دقم ٢٨ من بروس بتاريخ ١/٨٥٤/١/١٨ . سنام (٩ه) للس اللف دقم ٣٤ من بروس بتاريخ ١/٨٥٤/١/١ و ولم نستام عباس رسالة الباب المسالى بصدر الإجراءات التي التخليط بمسيدد احتكان بيع الحبوب ، وذلك تتيجة لولاته المفاجئة ( ١/١/١٣/١ ـ رقم ٧ من بروس الى سترافةرد دى ددكليف ) ( سيترافلورد كالنج في السسابق ) بتساريخ ١/٨٥٤/١/١ ،

معظمهم الحماية الأجنبية • وكان عباس الذي سعى الى احتكار معاصيل البلاد قد وجد فى التجار اليونانيين عقبة كاداء وقرر التخلص منهم (١) ، خاصة وأن نشاطهم ومعرفتهم بلغسة الاتراك وعاداتهم قد جعل منهم منافسين اقوياء • الا أن السفير البريطانى فى استانبول أصدر منشورا دوريا طالب فيه بالسماح للرعايا اليونانين العاملين فى البيوت التجارية البريطانية أو فى خدمة الرعايا البريطانين بوجه عام بالبقاء على مسئولية من يقومون بالعمل لحسابهم أيا كان نوعهم وبأن تزودهم السلطات المضانية « ببطاقة أمان » وذلك باستثناء الحالات التى يثير فيها سلوك أحد الطرفين شكوى خاصة من جانب البوليس (١١) •

وكان موقف عباس من اليونانيين مرتبطا بسياسته الداخلية المامة ، فقد كانت الأملاك التى ورثها آبناء محمد على وابراهيم عبارة عن عهد وشفالك ( بمعنى أنها كانت فى السابق فى أيدى المساليك ) ـ وكان حائزو الشفائك لا يدفعون أى ضرائب للحكومة ، ولم بستول عليها عباس استيلاء مباشرا ، ولكن لمساكان يسعى الى الحاق الضرر بحائزيها فقد اتنوى تحقيق لهدفه على الوجه التالى : فقد صعى حكام الإقاليم الى حرمان الملاك من الأموال اللازمة للزراعة بحيث ان الفلاهاي كانوا

<sup>(</sup>۱۰) ۱۰۳۰/۷۸ ـ من بروس ال<sub>د</sub>، کلارتبان بتادیخ ۱۱/۵/۱۹ •

<sup>(</sup>٩١) تنس الرسبالة ،

يزرعون الأرض لحسابهم خين يجدونهــا غير مزروعة ــ ومن الناحية القانونيسة كان يطلب منهم أن يدفعوا للمالك مبلغا يساوى قيمة ضريبة الأرض ولو أن تعليمات صدرت الى الحكام لكيلا يلبوا مطاب المالك الذي لم يعد يحصل على أي دخل منها مما اضطره الى تركها بعد وقت قصير • وكان ابراهيم باشا قد خلف ما ينوف على ٧٠ قرية اعتبرت عهدا وقدام عباس بوضع يده عليها وبذلك حرم منها آبناء ابراهيم • وكان شاغل العهدة يقدم رأس المال ويقوم بزراعة السكر والقطن التي تتكلف كثيرا من النفقات • وكان مشايخ القرى الأغنياء يلعبون فى زراعة نواحيهم دورا لا يقسل عن ذَلَك أهميــة • وبعد ان تضعضت أحوالهم أدت اجراءات العكومة الخاصة بالضغط عليهم وارغامهم على الاستدانة الى تمكينها من الاستيلاء على أموالهم الوفيرة • وتدهورت الزراعـة التي كانت مصـدرا الأرباح طائلة بعد أن حرمت الأراضي من خدمات الرأسماليين في الوقت الذي لم تفعل فيه الحكومة شيئًا لملء الفراغ • ولم يقم الوالي باستثمار الأراضي الأقل خصــوبة مما ادى الى لجوء الفلاخين المحرومين من مساعدة الرأسماليين المحليين الي عمسلاء البيوت التجارية الذبن كانوا يقدمون لهم سلفا بغسمان المحاصيل. وألماً كان عباس فنديد الرغبة في حرماهم من همدًا المصدر فقد سمى الى أعادة العمل بمنشور دورى كان محمد على قد أصدره ونص على تحريم بيع المحاصيل غير الناضجة ، والي ارهاب هؤلاء العملاء الذين كان بامكانهم تشجيع الفلاحين على عدم التمامل مع مندوبي الحكومة والاستناد الى الامتيازات الأجنبية لكي يدافعوا عن انفسهم في مواجهة قسوته (١٣) .

وحين توفى عباس ترك مالية الدولة مدينة بما يقارب مائة مليون فرنك فى الوقت الذى كانت فيه خزانه الدولة خاوية تماما (١٦) • وقد ابدى خلفه محمد سسميد باشا بعض الميول اللبرالية (١٠٠) كما أبدى تسامحا مع الأجافب وصل الى حد الضعف • ومرجم بعض هذا التسامح أنه كان يطمح الى المحقيق استقلال مصر • وأما كان تفوق العناصر الاسلامية فى البلاد م ورأيه م يقوى قبضة السلطان على مصر فقد اعتقد أن اضعاف همذا البنفوذ وتقوية النفوذ المسيحى والأوروبي من شأنهما زعزعة سلطة السلطان وتمكينه هو من الحصول على أن اضار وحماة له (١٠) • كما لم يتصف بالتعصب الذي تميز به عباس وكان شديد الحماسة للأخذ بأى اقتراحات تسستهدف عباس وكان شديد الحماسة للأخذ بأى اقتراحات تسستهدف تحسين أحوال البلاد (١٦) • وكان في نظر من يعرفونه رجلا طيبا

<sup>(</sup>١٢) ١٠٣٦/٧٨ - رقدم ٢٤ من بروس الى كسلادندون نشيباديخ اول يوقية ١٨٤٤ .

A. Sammerco, Les Règnes de Abbas, de Said et (۱۳) d'Isamall (Rome, 1935), P. 8.

J.C Mc Coan, Fgypt as it is (London, 1877), P. 81

<sup>(</sup>٦٥) ۱۸٦٣/١٥ ـ دقم ٧ من بروس الى دسل بتاريخ ٥/١/٦٢٨ .

<sup>-</sup> ١٨٥٥/٧/١١ ـ. رقم ١٥ من يروس الى ردكليف في ١٨٥٥/٥٥١ -

حسن النية وان تكن حالته الصحية وقلة نشاطه لا تسمحان له بأن يكون له تأثير دائم على أحوال مصر خلال فترة حكمه (١٧)٠

و ذان سعيد منذ بداية حكمه يرغب في التخلص من الطابع المركنيتلى الذي سبق لأسلافه أن فرضوه ولهذا لم يضع عقبات في وجه التجار الراغيين في التعامل مع الفلاحين في الداخل وكان تعليق قنصل بريطانيا العام أن تنفيذ النظام من شانه أن يثرى الفلاح وأن الشماء وكالات أوروبية سيستتبع في المستقبل اتباع مفاهيم ادارية آكثر استنارة في الداخل وتأمين المزارع على أملاكه ، خاصة وأن عدم توفير الأمن حتى ذلك الموقت كان يؤخر تنفيذ كثير من خطط الاصلاح في مصر وأضاف أن سعيدا ذو صفات طيبة وأن أفكاره الاصلاحية وأضاف أن سعيدا ذو صفات طيبة وأن أفكاره الاصلاحية تحقيقها أمرا صعبا لله كانت تستهويه المشروعات الضخمة دون تتحقيقها أمرا صعبا للذكان تستهويه المشروعات الضخمة دون الاجتماعية (١٨) ه

وقد عمد سمید الی الاعتراض علی کل ما قام به سسلفه مما کان یتناقض تماما مع کل ما انتواه من اصلاح الادارة . ویبدو آله کان بری آن احسن وسیلة لاعادة تنظیم مختلف،

Dicey, Story of the Khedivate (ondon, 1890), P. 222.

(۱۷) ۱۲/۱۱۵ . بروس الی ردکیف فی ۸۵۵/۷/۸ . ۱۲/۱۱۵

الادارات التي كانت قد تدهورت كثيرا في عهد عباس هي الفاؤها كليدة وتبرير ذلك بخفض النفقات وضرورة الوفاء بالديون التي خلفها عباس ولو أنه سار على نقيض سياسة سلفه القائمة على الاعتماد على المنصر العربي على حساب المنصر التركي دوقد أخبر قنصل بريطانيا العامبائه يستهدف ألا يكون لديه من الضحاط سدوى الأتراك خاصة وأنه كان يتقد أن العرب لا يصلحون لأى وظيفة عليا مما كان يندر بوقوعه في أيدى أنصار فرنسا الذين اعتبرهم أولى بالرعاية تتيجة لاضطهاد عباس لهم خاصة وأنه فتح أبوابه لهم وهو ما لم ينعله مع انتجار البريطانين (١٠) ٠

وقد ترتبت على كل ذلك سلسلة من الاصلاحات اللبرالية أهمها الفاء الرسسوم الجمركية الداخلية وكل الاحتكارات وبذلك تحققت حرية التجارة ولم تعد توجد عوائق تعترض الأشخاص الذين يتجرون في الداخل مع المنتجين المحليين وكانت النتائج مواتية جدا للملاك ، واشتد الطلب في الاسكندرية على الصادرات مما أدى الى ارتفاع أسعار الحبوب في المناطق النائية حتى أسوان خاصة وقد الفي جمرك بولاق الذي طالما كان موضعا للسخط والاحتجاجات عديمة الجدوى ، كما ألني

۱۸٥٤/۱۲/۱۹ بروس إلى وزارة الخارجية في ۱۸٥٤/۱۲/۱۹ .

النظام السيىء الخاص پرسوم الدخولية ('') و الا أن الفاء نظام الاحتكار بهذا الشكل قد أفسح المجال أمام المغامرين الأجانب في حين أن الأشخاص الذين تالوا حظوة الوالى قد اهتموا بالسعى الى الحصول على امتيازات لهم دون غيرهم يصدد تنفيذ مشروعات لم يكن لمصر سابق عهد بها و وكان لابد لهذا النظام أن يكون شديد الضرر لأنه منح مزايا لأشخاص كانوا قد نالوا حظوة الوالى وبالتالى قائه تضمن قيودا على اصلاحات المستقبل وعرض شعب مصر وتجارتها للاسعار التي كان مؤلاء المحتكرون يسعون الى فرضها (١١) و

وأثبت ضعف سعيد شدة اضراره برخاء مصر الأنه أفسح المجال لتدخل القناصل الأجانب الذين حقق كثير منهم أرباحا عن طريق استفلال مناصبهم بأساليب غير شريفة • وكان القناصل المامون الذين يتقاضون أجرا هم قناصل فرنسا والنمسا واليونان وبروسيا وبريطانيا واسسبانيا والولايات المتحدة وسردينيا وروسيا • أما القناصل الذين لم يتقاضوا أجرا وكانوا يمارسون التجارة فهم قناصل هولندة وبلجيكا وتسكانيا ونابولي والدائمرك وعصبة الهانسا والبرتغال والسويد • وكان معظم والقناصل الذين لا يتقاضون أجرا من مواطني البلاد التي

 <sup>(</sup>٧٠) ۳۲۲/۱۹۵ - دقم ۸ من بروس الى وزارة الخارجية في ۲/۲/۲۱ .
 (۲۱) ۱۳۲۸/۷۸ - دقم ۲۱ من بروس في ۱۸۵/۲/۱۲ .

يمثلونها ب وعلى سبيل المثال كان قنصل نابولي مشرقيا عاديا جمع ثروة • وكان بعض القناصل قد اشتروا وظائفهم لاستغلال الفرص التي توفرها للحصول على صفقات الحكومة دون أن يسبق لهم تلقى أى تعليم خاص يمكنهم من الاضطلاغ بالواجبات القضائية المطلوب منهم القيام بها • ومن الطبيمى أن يكون هدفهم هو اقامة علاقات طبية مع الحكومة المحليــة واستغلال سهولة اتصالهم بالوالي باعتبارهم قناصل عامين (٣) • وترتب على كل ذلك أن لعب عثولاء القناصل دورا حاسما في فتنح أبواب مصر كما قاموا بالضغط على الحكومة المصرية للحصول على تعويضات عن خسائر كانت وهمية في كثير من الأحيان • وقد سجل قنصل بريطانيا العام رأيه حول الدور الذي لعبه أمثال حؤلاء القناصل على الوجه التالي : « تتفق نظرة هؤلاء السادة التي المسائل العامة مع يفيد مصالحهم أكثر من اتفاقها مع سياسة الحكومة التي يمثلونها ، ففي بداية عهد سميد في الوقت الذي كانت تناقش فيه فوائد وضع حد لمساسة احتكار الحكومة للمحاصيل،

<sup>(</sup>۷۲) ۱۲۲۲/۷۸ \_ رقما ۱۳ و ۲۱ من بروس الی کلارندون بتاریخ ۱/۶/ و ۱۸۵۳/۵۰ ۰۰

<sup>(</sup>۷۳) رئم عدم وجود احسائیات دقیقة فی مصر حتی عام ۱۸۹۷ یقدس عیسوی عدد الاجائب فی مصر فی عام ۱۸۳۱ بثلاثة آلائه وفی عام ۱۸۷۸ باکثر من ثبائیة وستین الفا وفی عام ۱۹۰۷ بباتتی الف وواحد وعشرین الفا ، Issawi, Egypt in Revolution (London, 1968), P. 48,

<sup>70</sup> 

وهي السياسة التي سعى عباس ياشا مؤخرا الى اعسادة تطبيقها ، كان من أشـــد معارضي وجهات نظره اللبرالية قنصل بلجيكا العام الذي لاشك أن تصريحاته لم تكن تسجم مع سياسة الحكومة البلجيكية الخاصة بمثل هــذه الأمور » (٧٤) • وكان من رأى بروس أن مصالح الدول الأجنبية وتركيا ذاتها كانت تنطلب عدم خلع الصلاحيات القضائية واسعة النطساق التي كان يتمتع بها القناصل الذين يمثلون الدول الأجنبية في المشرق، الا على أشخاص يشتغلون بالتجارة وأن دخولهم في سلك وظائف الدولة التي ينتمون اليها وتلقيهم مرتبات كافية مما يوفر ضمانا كافيما لاستقلاليتهم وأداء مهمامهم بوحى مسن الضمير (٢٥) ٠

وكان سميد تركيا ــ وكان من عادة الأتراك ، في الوقت الذي يتبينون فيه أن ممثلي الدول الأجنبية يشتركون في المطالبة بقسط من المكاسب الناتجة عن التهابهم للمواطنين ويسساندون ادعاءات ناتجة عن صفقات غير قانونيــة أن يعتبروهم على صلة بالسماسرة الذين لم يكن لهم من هدف سوى انتهاب الأتراك -وبطبيعة الحسال كانوا يدركون آن أحسن وسيلة للحصول على مسائدة أي قنصل عام وللتوصيل عن طريقه إلى كسب ثقية

<sup>(</sup>٧٤) ٢٠/١٤٢ - دقم ٢ من بروش الى وزارة الخارجيسة بتساريع · 1A0Y/Y/18

<sup>(</sup>٧٥) نفس اللف ـ رقم ١٦ من يروس ايضا بتاريخ ١٨٥٧/١/١٤ .

الحكومة التي يمثلها هي أن يخلعوا على مواطنيهم نسبة مبالغا فيها من المزايا على حساب مصلحة التجارة والحكومة ذاتها (٧١) . لهذا كله اعتبر سعيد السلك القنصلي عدوا طبيعيا له بحكم أن أعضاءه لم يكن لهم من هم سوى ابتزازه بأى بأى وسسيلة • ورغم ذلك فلم يكن بامكانه مقاومـــة الضفط الأوروبي المتزايد على مصر الذي استشرى بعد الانهيار النهائي لنظام الاحتكار في عهده . يضاف الى ذلك أن الأشخاص الذين نالوا حظوته كانوا يحتكرون المزايا لتنفيذ بعض متطلبات الصناعية وكانوا يبيعونها لشركات تقوم بتصنيها وبالتالي كانوا يجورون على سكان مصر ويعمدون الى التضييق على سلطة الوالي حتى يكونوا هم بديلا لها بحيث يحـــلون محل الجنس التركى في مصر (٧٧) . والنتيجة هي أن التجارة لم تكن تمارس على أساس سليم بحكم أن التجار كانوا يستثمرون رءوس أموالهم في سندات على خزانة الحكومة كانت تدر ربحا يتراوح بين ١٥ و ١٨٪ ـــ وحتى لا تتأثر سمعة سعيد فانه كان يدفع قيمة السند حين يحل موعده وقد عمد كل الأشـخاص الذين كانت لديهم أشياء ذات قيمة الى الاستغناء عنها حتى يتسنى لهم استثمار هــذه السندات وان يكن هــذا لم يؤثر على حجم

<sup>(</sup>٧٦) ١٣٢٢/٧٨ \_ وقما ١٣ و ٢١ اللذان سبقت الاشار اليهما ، · ١٨٥٧/٨/١٦ \_ رقم ٢٢ من بروس إلى كالرندون بتاريخ ٢٠/١٨/٢٠ .

الواردات والصادرات التي ازدادت (٣٨) •

وهكذا انضبحالمجال لجعلمصر وحدة زراعية كولونيالية فى نطاق النظام السياسي - الاقتصادي العالمي (٢٩) وذلك بعد انهيار خطط محمد على وهو ما نستشف منه أن عدم حصــول مصر على الاستقلال الذاتي كان يمثل احدى العفبات الرئيسية التي اعترضت تطور البلاد الاقتصادي • فقد سبق أن رأينا أن رسوم الصادر والوارد كانت تحددها الاتفاقيات المعقودة بين الحكومة العثمانية والدول العظمي في حين كان لايمكن فرض أى ضرائب مباشرة على الأجاب دون موافقة حكوماتهم وذلك تنبحة للامتيازات الأجنبية • وكان معمد على قد نشط الزراعة والصناعة والتجارة ودافع عن استقلال مصر الذاتي وأفاد من الخبراء والفنيين الأوروبيين الذين شجعهم على الاستقرار فى مصر ، في الوقت الذي عرقلت فيه احتكارات الحكومة نشاطات الأجانب في مصر بحيث أن التوسيع في استيراد رأس المال الأجنبي لم يتم الا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وذلك في أعقاب افتتاح قناة السويس وظهور الحاجة الملحة الى تمويل زراعة القطن وأعداده للتصدر و

وكان عباس الأول يقاوم كل أشمكال النفوذ الأوروبي

٠ ١١٢/١٤٢ من كلكبون المي دلسل في ١١٢/١٤٢ ٠

<sup>(</sup>۷۹) عیسوی ، الرجع السابق ، ص ۱۹ و ص ۲۶ .

واذا ما كان قد تميز بكرهه للانجانب الذين انعزل عن مجتمعاتهم فالما كان يستهدف بذلك التصدى للتغلغل الغربى و أما عصر سحيد فانه يسجل مرحلة اتتقال فى تاريخ مصر فشخصيته وسياسته ، فى الوقت الذى شهد نمو الرأسمالية والثورة الصناعية فى أوروبا ، كانتا مسئولتين عن الديون وتنفيذ مشروع قناة السويس الذى تحملت الحكومة المصرية معظم تكاليفه وعن الغزو السلمى الأوروبي لمصر وقد ظهرت نتائج كل هذه التطورات خلال الجيل التالى لعصر سعيد واستشرى فى عصر اسماعل ووصلت قمتها حين خضمت البلاد للاحتسلال البريطاني (۱۸) و

 <sup>(</sup>٨) راجع حول هذه التطورات ودالاتها كتاب ١ في أصبول المسألة المربة ٤ تأليف صبحى وحيدة ( القاهرة ١٩٥٠ ) .

الموضسوع الثسالث اوراق حككيسان

لم يجر حتى الآن تقويم أوراق حككيـــان (١) التي كان هيوارث دن أول من أشار اليها في كتابه :

In troduction to the History of Education in Modern Egypt (London, 1939).

وتلقى هذه الأوراق أضواء جديدة على أوضاع مصر خلال الفترة المستدة بين عامى ١٨٤٠ و ١٨٩٣ والتى لم تحظ بالاهتمام الكافى من جانب المؤرخين ، كما تحتوى على سيرة حككيان الذاتية وانطباعاته الخاصة خلال الفترة التى قضاها فى المجاترا ما بين عامى ١٨١٨ و ١٨٩٠ و بالامكان مقارنة خواطره بانطباعات رفاعة الطهطاوى عن الفترة التى قضاها فى فرنسا فى بالطباعات رفاعة الطهطاوى عن الفترة التى قضاها فى فرنسا فى أوراق حككيان على معلومات ورسوم هامة تتعلق بالتنقيبات أوراق حككيان على معلومات ورسوم هامة تتعلق بالتنقيبات بأوضاع البلاد الاجتماعية التى لمسها خلال اشتراكه فى هذه التنقيات ،

<sup>(</sup>۱) المتحف البريطاني ( المخطوطات الإضافية Add. MSS ) المخطوطات ۲۷۱۶ - ۲۷ • ۲۷ •

توجه الى مصر وأصبح أحد تراجمة محمد على • وحين قرر محمد على في عام ١٨١٧ ارسال غدد كبير من أبنائه وموظفيه الى باريس لكي يتلقوا تعليمهم هناك ، انتهز والد حككيان الفرصة فطلب من محمد على أن يرسل ابنه ــ الذي كان يقيم مع والدته في استانبول ــ الى الجلترا • ولبي محمد على هذا الطلب ـ. وحين وصل حككيان الى دوفر لم يكن يعرف من اللغات سوى التركية (٢) واعترته الدهشـــة التي عادة ما يتعرض لها شباب الشرق حَين يواجهون أوروبا للمرة الأولى • وفي انعلترا كان يشرف عليه صمويل بربعز الذي سبق له العمل بمصر حيث كان قنصــلا عاما لبريطانيا ــ ولمــا كان حككيان كاثوليكيا فقد تقرر الحاقه بكلية ستونيهرست حيث ظل حتى عام ١٨٢٤ يدرس اللغة الانجليزية الى جانب المناهج السائدة ف ذلك الوقت : اللغتان الفرنسية واللاتبنية وغير ذلك ، وبعد أن أته هــذه الدراسات وصلته تعليمات ( فى ١١ ديسمبر ١٨٢٤ ) الخارجية في مصر تتضمن أمرا من محمد على على تقضى بأن يكرس حككيان اهتمامه لدراســة آلات الغزل والنسيج من الناحيتين النظرية والتطبيقية الى جانب إلاطلاع على كيفية بناء الطرق

 <sup>(</sup>۲) المشطوطة رئم ۳۲۶۲۳ ، ص ۱۳۵ ، هسلدا رغم أن حكميان يذكر في سيئه الدائية أنه قبل أن بدارح استأندل كان ملما باللفتين الأرمنية والمرئسية ( المضلوطة رئم ۸۷)۳۷ ، ص ۱۹۳ ) .

والكبارى والقنوات والأرصفة النهرية () •

وفى أول مايو ١٨٢٥ شرع فى تنفيذ الوامر محمد على الخاصة بهذه الدراسات • ثم صدرت اليه الأوامر بزيارة مصانع القطن . ف جلاسجو بقصد الاطلاع على أساليب الغزل والنسيج فى اسكتلنده وما نشستر (1) وهناك طفق يجمع المعلومات المفيدة عن عمليات تصنيع القطن •

وفي خريف ۱۸۳۱ عاد حككيان الى مصر بعدان نسى لفته الأصلية نسيانا تاما مما آدى الى تزويد محمد على له بمترجم يساعده فى مهامه التى واجه خالل اضطلاعه بها كثيرا من الصعوبات الناتجة عما اكتسبه من مضاهيم فى انجلترا (°) ومهما كان الأمر فقد تم تعيينه مراقبا عاما لمصانع القطن فى الحوض المرصود والخرنفش وبولاق والمبيضة ووضع تحت اشرافه عشرون من طلبة قصر العينى قام بتعليمهم مبادىء الهندسة والرياضيات والميكانيكا بمساعدة مترجم تقوم الحكومة بدفع رائبه و وفي عام ۱۸۳۴ افتتحت مدرسة الهندسة فى بولاق بدفع رائبه و في عام ۱۸۳۴ مدرسة الهندسين فى القناطر الخيرية ثم الحقت بها فى عام ۱۸۳۰ مدرسة الهندسين فى القناطر الخيرية

 <sup>(</sup>۲) المخطوطة رقم ۲۲۷۲۳ ، ص ۲۱۷ ... ۲۱۹ .

<sup>())</sup> المتطوطة رقم ٢٧٤٦٧ ، ص ، و٢ .

<sup>(</sup>a) تقس المصطوطة ، ص ه .

المتى كان بها ثلاثون طالبا (") كما الحقت بها مدرسة المناجم بمصر القديمة (") وتم تعيين حككيان مديرا لمدرسة الهندسة الجديدة (") مما آتاح له الفرصة ليصبح عضوا بديوان التعليم الذي أنشيء في عام ١٨٣٦ (") • وفي أواخر الثلاثينات عين مديرا لمدرسة العمليات ، كما اشترك في انشاء « الجمعية المصرية » لمدرسة العمليات ، كما اشترك في انشاء « الجمعية المصرية المسافرين الأجانب المارين بمصر وكانت لها مكتبة كانت تنعقد فيها اجتماعاتها • وقد تولى آكثر من مرة ادارة الجمعية التي المتسلة بالشرق : تاريخه وجغرافيته ودياناته وعاداته ، بل انها المتصلة بالشرق : تاريخه وجغرافيته ودياناته وعاداته ، بل انها المتصلة بالشرق : تاريخه وجغرافيته ودياناته وعاداته ، بل انها

<sup>(</sup>۱) أحمده عوت عبد الكريم: تماريخ التعليم في عصر محمد على (القاهرة ۱۹۲۸) من ۳۹۰ سال ۱۹۲۰ بياء على دولة مصر محمد على (القاهرة ۱۹۲۸) من ۱۳۶۰ وپذكر شكرى أن هادد طلبة المدرسة بلغ ۴۲۰ دولة ۲۲۰ م

 <sup>(</sup>٧) احمد عزت عبد الكريم : لقس الرجع والصفحة .

<sup>(</sup>٨) كتب محمد على الى مخدار لك مدير ديوان المدارس \_ بهسدد مناهج مدرسة الهندسة \_ ليلفت نظره الى عدم وجوب كون التعليم سطحيا والى اله لم يبعث حكتيان ليصبح لوردا في أوروبا ، بل ليعود الى البلاد ويقوم بتعليم الطلبة التاقعين الآمة وللبلاد وأمره بالجدية والحماسة في تعليمهم حتى لا نفرب بالمعى ، ( أحمد مرت عبد الكريم ) الرجع السابق ) ص ه؟؟ ) .

باهتماماتها الخاصة (۱) و وفيما بين عامى ١٨٤٤ و ١٨٥٠ ترأس المثنات كانت تقوم بالبحث عن القصم فى مختلف صحارى مصر وجبالها و وفى عام ١٨٤٩ عين رئيسا لمجلس الصحة ولو آن مرضا مزمنا أرغمه على التقاعد فى عام ١٨٥١ ، وان يكن قد تلقى تعليمات شفهية من عباس الأول فى مارس من نفس السنة لكى ينفذ باسم حكومته بعض الدراسات الخاصة فى وادى النيل لصالح الجمعية الملكية البريطانية (۱۱) و ولكنسه سعى الى المصول على الحماية الانجليزية فى مواجهة احتمال تعرضه للمنف ونزوات الطغيان التى لا تقدر العواقب خاصة وآن عددا من الأشخاص من كلا الجنسين اختفوا فجاة دون أن يعرف أحد مصيرهم ، وكان ذلك من وراء مخاوف حككيان خاصة وأنه كان على صلة عائلية بارتين بك (۱۱) الذي تعرض لسخط الوالى (۱۳) + الا أن مخاوف حككيان لم تكن تستند الى الملكية البريطانية حتى اواخر عام ١٨٥٨ حين آتم تقاريره النهائية الملكية البريطانية حتى اواخر عام ١٨٥٨ حين آتم تقاريره النهائية

<sup>(</sup>۱۰) جمال الدین الشیال : تاریخ الترجمة والحرکة الثقافیة فی مصر محمد علی ( القاهرة ۱۹۵۱ ) ص ۱۶ ـ ۱۵ . وقد اضمحات الجمعیة قیما بمد ، وتوجد کتبها فی دار الکتب بالقاهرة وذلك تنفیدا لومسیة ۲ شراهشائها : حککیان وتربورن وکیائی بك ،

ازا) المنظوطة رئم ۲۲،۳۳ ، من ۲۱۹ – ۲۱۹ •

<sup>(</sup>۱۲) كان حككيان متزوجا من أخت أرتين .

 <sup>(</sup>۱۳) المخطوطة رقم ۳۷۲۵۲ ، ص ۴۸ ــ من حككيان الى بريجو پتاريخ ۱۱/۵۱/۲/۲۹ .

وعيناته ورسوماته وعمليات المسح التي كان يقوم بها • وبالاضافة الى ذلك فانه انشغل فيما يين عام ١٨٥٤ ونهاية عام ١٨٦١ ونهاية عام ١٨٥١ ونهاية عام ١٨٥٠ من رجال العلم الذين احتك بهم وحادثهم أحيانا حول الموضوع قد شجعوه فانه أبدى رغبته في نشر الكتاب في المجلترا وطلب من والى مصر سعيد باشا أن يساعده على مواجهة تفقات اعداد وطبع مائتي نسخة من هذا المؤلف (١٤) ووافق سعيد على ذلك ودفع خمسمائة جنيه (١٥) ، وتم نشر الكتاب في لندن في عام ١٨٦٧ في طبعة خاصة تحت العنوان التالي :

A Treatise on the Chronology of siriodic Monuments

ولم أستطع تعديد وضع حككيان الوظيفي حين تم نشر الكتاب خاصة وآنه آشار الى كونه «حككيان بك الاستانبولى الموظف السابق بالحكومة المصرية » • أما أوراقه الخاصة ويومياته ومراسلاته وملحوظاته ورسومه وغير ذلك ( ١٨٧٩ – ١٨٧٤ ) فقد قام ابنه تيتو حككيان آحد أقطاب الجالية الأرمنية في الاستكندرية باهدائها فيما بعد الى المتحف البريطاني (١٦) •

<sup>(</sup>۱۶) المفطوطة رقام ۳۷۶۱۳ ، ص ۱۷۸ ــ ۹ ( مسلارة مؤرفسية ۲۱ يولية ۱۸۲۲ .

<sup>(</sup>١٥) تفس المضلوطة ، ص ١٨٦ ــ ١٨٣ و ص ١٨٨ ــ ١٨٨ .

<sup>(</sup>۱۱) عمر طوسون : البعثات الملمية في مهد محمد على تم في ههد عبامي الأول وسميد ( القامرة ۱۹۳ ) ص ۱۰۷ ،

تقح اوراق حككيان في اربعة وعشرين مجلدا رتبت على الوجه التالي :

# الجلد الأول "

مفكرات ورسوم ( ٢٥ ابريل -- ٨ مايو ١٨٢٩ ) - يوميات في انجلترا ( يوليه ١٨٢٩ - يناير ١٨٣٠ ) - سيرة ذاتية كتبت خلال الرحلة الى مصر ( يوليه -- سبتمبر ١٨٣٠ ) ويوميات الرحلة -- يوميات في مصر ( ٢٩ أغسطس ١٨٤٠ -- ٣٣ أغسطس ١٨٤٠ ) ٠

### الحسله الشبائي :

تكملة اليوميات مع ملحوظات ميدانية .

# المجلد الثالث والرابسع:

تكملة اليوميات •

#### المصلد الخامس:

تكملة اليوميات بالاضافة الى سجلات حول التنقيبات الأركيولوجية والجيولوجية •

#### المجلد السيادس:

تكملة اليوميسات •

#### الجلد السابع:

ملحوظات ميدانية ورسومات ه

#### الجلد الشامن:

استعراض التنقيبات التي أجربت فيما بين عسامي ١٨٥٢ و ١٨٥٤ ٠

## المجمله التاسمع:

يوميات سجلت في عام ١٨٦٢ ٠

### الجلد الماشر:

رسومات خاصة بالآثار التي جرى التنقيب عنها في عام ١٨٥٤ بالاضافة الى جداول بمنسوبات النيل وغير ذلك ٠

# المجسلد الحادي عشر:

رسومات ( بعضها ملون ) ومشروعات الآثار والتنقيبات المصرية والقوائم الخاصة بها •

المجلدات الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر :

مراسلات حككيان ٠

#### المجملة السابع عشر:

قوائم خاصــة بالمناســيب وأعمــال العفر ومادة أخرى· جيولوجية ( ١٨٥١ – ١٩٥٤ ) •

# المجسلد الثامن عشي :

مراسلات وأوراق رسمية متفرقة كتبت باللفتين التركيسة والعربية (۱۸۲۷ ـــ ۱۸۶۸ ) •

# الجسلد الناسع عشي:

أوراق وتقارير رسمية متفرقة ذات صلة بشمئون مصر حوالي عام ١٨٣٨ – ١٨٤٠ ) وغير ذلك •

# الاجزاء المشرون والحادي والعشرون والثاني والعشرون :

مفکرات کتبت حوالی ۱۸۹۸ ــ ۱۸۷۲ •

# الجزءان الثالث والعشرون والرابع والعشرون :

ثلاثة أبخاث أو مسودات كتاب عن التسلسل الزمنى للارض أو « نظام التسلسل الزمنى المصرى والانجيلي على ضدوء الملاقة النظرية بين الذواع المصرى وبين التغيرات المادية في المنسوب السطحي في مصر » •

ولكى تتصمكن من تقويم المادة التى تتضمنها أوراق حككيان وأهميتها بالنسبة الى تاريخ مصر الحديث لابد لنا أن نعرض لشخصيته وأفكاره ونظرته ونشاطاته ، فهو مهندس تمكن من دخسول « الحريم » وكان على صلة بالكثيرين فى مصر وأوروه ، كما أنه اضطلع بعدة مهام فى مختلف نواحى مصر وبالتالى فانه كان على صلة وثيقة بالحياة الاجتماعية فى الصحارى

والأرباف والمدن ، هـــذا بالاضافة الى اشتراكه في مداولات رسمية ، ولهذا فان المناصب الرسمية التي تولاها والتعليم الذي تلقاه قد أضفيا عليه ادراكا وثيقا لأحوال مصر والتقلبات الدولية في عصره . هــذا الى أن معرفته بعدة لفات وتجاربه الخاصــه قد عمقت أفكاره وأثرت ملحوظاته وجعلت منه رجلا ذا نظره عالمية خالبة من التعصب القومي . ورغم تخصصه في العلوم التطبيقية فقد كان يتذوق الآداب (١٧) وينحو منحى انسانيا • فقد أمضى في انجلترا اثني عشر عاما شهد خلالها نمو الثورة الصناعية وظهور مبادىء التجارة العرة والنزعات اللبراليــة . وهكذا فانه كان يرى أن ﴿ التعليم وحرية التجارة من شأنهما أن يجعلا النــاس يلبون دواعي العقل » ويحكمون أنفســهم ً بأنفسهم • وقد أفصح عن وجهة النظر هــذه في مجلس رأســه عباس الأول وحضره نوبار وآخرون (١٨) • وكان يحبذ اقامـــة مؤسسات عامة يستطع فيها الفقير والغنى والعامة والنبلاء ـ بل وأبناء الملك ـ أن يتلقوا نفس التعليم ويتمتعوا بنفس المزايــا التي يتمتع بها أبسط الناس • وقد ذهب الى وجوب أن تعظى

<sup>(</sup>۱۷) تر في هام ۱۸٤۱ أن درويشا فارسيا كان يجيه كل مسساء الى « مندرته » ويعفي منه سيامة أو سامتين يقرأ معه خلالها ويعلق ويتحسادت بالفارسية وأنه بعث يطلب الشاهنامة ويعشى كتب التاويخ المنشسورة ( المخطوطة ٣٤٤٣ ، ص ه ) .

۱۱) المخطوطة رقم ۲۵)۲۳ ، س ۱۹ .

هذه المؤسسات بعناية خاصة من جانب الحكومة وأن تعتمد ( من حيث الصيانة والتعليم والملبس ) على ضرائب يجرى تعصيلها من الشعب كله (۱۱) • ولما كان متاثرا بأفكار جماعة الفزيوقراط فانه كان يعلم بعالم واحد تربطه المواصلات والتجارة لمصلحة الانسائية جمعاء : « فالزراعة والمسناعة هما أهم مستلزمات التجارة • فنعن ننقل منتجات جزء من الأرض الى جزء آخر تتحول فيه الى تلك الأشياء التى يجرى تصديرها وتفيدنا في تلبية حاجاتنا الملحة أو في الوفاء بكمالياتنا • فمن الواجب أن تشكل الشعوب أسرة واحدة تتبادل المساعدة في في يرتبط كل منها بالآخر يمكن تحقيق الهدف الأكبر من الطبيعة يعيث يتسسنى بالقعمل اجراء الاصلاحات في كل بقساع بعيث يتسسنى بالقعمل اجراء الاصلاحات في كل بقساع بعيث يتسسنى بالقعمل اجراء الاصلاحات في كل بقساع

وكان حككيان أميل الى قيام نظام عالمى للتعليم بعيث تتوحد المبادىء الأخلاقية فى شتى أنحاء العالم ولايمكن السماح بأى نظام بجديد دون اطلاع البشرية عليه و ولكن أحوال الشرق لم تكن تسمح فى ذلك الوقت بتطبيق مثل هذه الأفكار التقدمية فى فرغم اعجاب حككيان بحكم محمد على الذى اعتبره حكما مستبدا مستنيرا فانه كان شديد الانتقاد للحكم

<sup>(11)</sup> المشاوطة وقم ٢٧٤٤٨ ۽ ص ٧٧ ه . .

<sup>(</sup>٢٠) نفس المخطوطة ٤ من ٧٥ ه

الشرقى: « فالمنتصبون فى الشرق نادرا ما يعتلكون أراضيهم يصفة وراثية يحكم تنشئة أبنائهم باهتمام أقل مما يحظى به حتى آبناء الأسر القديمة الذين يتبتعون بكراهة السيادة » (۱) و ومن رأيه أن الدبلوماسية الشرقيسة تتضمن قدرا من التظاهر والخداع يفوق ما تتضمنه الدبلوماسية الأوروبية ، فلا ينجح وطرده بطريقة مهينة ، ولا يفوق ذلك سوى خداعه للتوصل الى الهدف ، وتاريخ الشرق ملى و بمثل هذه الأمثلة منذ عصر كورش ، والصعوبة الوحيدة التي تعترض قيام الشخص بعمله على أحسن وجه دون صعوبات هى عدم اطمئنانه أحيانا الى اخلاص رئيسه وبالتسالى لا يتسنى التغلب على الشسكوك المتبادلة والاعتراض أمسر مؤكد كمسا هدو الحسال فى الوزارات والاعتراض أمسر مؤكد كمسا هدو الحسال فى الوزارات الأوروبيسة » (٣) ،

ومن الطبيعي أن يؤدى هذا الاتجاء الى تنديد حككيان بالطفيان الذي كان ياارسه شيوخ البلد على صفار المزارعين في القرى (٣٠) • بعيث كان الفلاحون يعمدون الى ترك الزراعــة ويفضلون الدخول في خدمة البدو أو يختبئون في المدن حيث يتحولون الى خدم أو ما شابه ذلك من أعمال • كما أدى به هذا

<sup>(</sup>٢١) نفس المخطوطة ، ص ٨٥ .

<sup>(</sup>۲۲) المخطوطة رقم ۲۵،۳۷۲ ، ص ۱۸۴ بتاریخ ۲۹ مارس ۱۸۵۱ .

۱۸۲۲/۱/۲۸ المخطوطة رقم ۱۹۶۹ ا ص ۱۱ س ۱۹ بتاریخ ۲۸/۱/۲۱ ۱۸۲۱

الى مقت الطنيان الذى تمثل لديه فى عباس الأول بوجه خاص بعيث خشى أن ينكل به مما دعاء الى طلب الحماية الانجليزية وهو ما مبق أن أشرنا اليه و وكان رجل الشارع يشارك حككيان نظرته الى الحكم المطلق السائد فى مصر فى عصره مد فحين سئل مكارى عن عباس أجاب بأنه كسول وقاس على الفقراء : «فهو يكلفهم بأعمال شاقة فى الصحارى ويكاد لايدفع لهم من الأجر الا أقل القليل و كما صرح بأن كثيرا من مواطنيه يموتون يوميا أثناء عملهم فى قصصور الباشا و وكان الرجل من التعقل بعيث ذهب الى أنه كان من واجب سسموم أن ينفق الأموال فى بحيث ذهب الى أنه كان من واجب سسموم أن ينفق الأموال فى تحسين أحوال مصر ( القاهرة ) بدلا من القيام بالبناء فى الصحراء ، واستطرد قائلا أنه لو أنفى الوالى السخرة المفضفنا الطرف عن سيئاته المديدة مد فمن الظلم والقسوة أن يحرم الراء عن مساعدة الابن الوحيد الذى كانوا على استعداد لافتدائه بألف قرش حتى لا يفقدوا معاونهم فى الأعمال الزراعية » (٢٤) و الم

وهكذا نجد أن الملحوظات الاجتماعية الواردة في أوراق محكيان تلقى أضــواء على أوضاع مصر السياسية والاجتماعية في أيامه خاصة وأنه قد تنقل في ألحماء عدة من البــلاد واتصل بأنماط مختلفة من سكانهــا ــ فهو يصف أحوال البدو في عهد عباس الأول على الوجه التالى: « أن عباس الأول على الوجه التالى: « أن عباس الأها يتعمد معاباتهم

<sup>(</sup>۲۴) المخطوط ولم ۲۵،۷۷۲ ، ص ۲۳ بتاریخ ۲. مارس ۱۸۵۱ ، \*

وبتفاضى عن أعمال التخريب التي يرتكبونهما وعن انتهابهم للفلاحين • فمن المعروف أن عامر (أو أمير) الطحاوى قد سرق حصانا ممتازا كان يمتلكه شيخ غنى في البحيرة وهو يمتطيسه دون أن يعتريه أي خوف • وقد اشتكى الشيخ للحاكم ولكن دون جدوى • وان الخلع التي تمنح باستمرار لشيوخ القبائل المتوحشة انما هي دليل على إن الوالي الحالي شديد الاهتمام بكسب ولاء البدو ذوو الطباع الخشسنة الذين يفهمون تمامآ السبب الكامن وراء دلالات الصداقة هذه ، ويزيدهم هذا الضعف جرأة مما يجعلهم يعودون الىحرفتهم القديمة المستندة الى التخريب • ومن ناحية أخرى فان شيوخ الفلاحين سيعودون الى عادتهم الخاصة بقطع الطريق • وبامكان الشميخ أباظمة (Abhassa) في البحيرة أن يستدعي حوالي اثني عشر ألف رجل مسلح لمساعدته • وهؤلاء المشايخ هي نبلاء البلاد ، ومن ثم فهم لا يبدون استعدادا لأن يزوجوا بناتهم للأتراك أو للسلطان ذاته أو لأعرق بيوتات أوروبا + وهم يعتقدون أن لهم حق السرقة داخل حدود أراضيهم ، ويقومون في أحسن الأحوال بتحصيل الاتلوات » (٣٥) . ولمــا كان حككيان قد لمس نوعا من التحول الاجتماعي الخماص بالعلاقة بين المسلمين وغير المسلمين فقد لاحظ أن عداء السلماين للمسيحيين قد خفت حدته ولو أنه قد

<sup>(</sup>ه؟) المخطوطة رقم ٢٨ ٢٧٤ ، ص.٠٠ .. ٢١ .

حل بحله شمور آخر آكثر قوة وهو الكره والفيرة والخوف من الأوروبيين والجماعات الدينية التي يفترض أنها تتعاطف مع الأوروبيين (٣١) •

وحين يعرض حككيان للشخصيات نجده يصطنع التحليسل الذي يأخذ في عين الاعتبار العوامل الاجتماعية والسيكلوجية، وهكذا يصف عباس الأول بأنه شاب له صفات كان من المكن أن تفيده هو والبلاد فيما لو تلقى التعليم المناسب ولكن التعليم السبيء الذي تلقاه واحاملته بأشخاص جهلة وأفانين قد حولاه الى طاغية مجنون (٢٧) ، وهو يعرض لبوغوص يوسيفيان الذي قام بخدمة معمد على لأكثر من ثلاثين عاما على الوجه قام بخدمة معمد على لأكثر من ثلاثين عاما على الوجه ولم يبزه أحد في القدرة على انجاز المهام الرسمية وذلك اذا ما وضمنا في عين الاعتبار أنه كان مرءوسا لطاغية ، ومن المكن اعتباره من أعظم الوزراء الشرقيين لأنه ظل طيلة كل هذه السنوات يتمتع برضى طاغية وبلاط بتصف بالطفيان ، وكان سر سياسته هو ألا يعمل بوحى من رغبته الخاصة وبهذا كان سر سياسته هو ألا يعمل بوحى من رغبته الخاصة وبهذا كان كم اكان يعترض على آدائه علنا بأى شكل من الأشكال » ،

 <sup>(</sup>٢٦) المتطرطة رقم ٢٥٤٧٦ ، ص ١٧ بتاريخ ٢ مارس ١٨٥١ .
 (٧٧) نعب المتطرطة ، ص ٣٣٤ .

<sup>(</sup>٨٨) المخطوطة رقم ٢٧٤٤٩ ، ص ٢٧٥ بتاريخ رجب ١٢٥٩ هـ .

يضاف الى كل ما سبق أن أوراق حككيان تحتوى على رسوم وخرائط ومعلومات خاصة بمساكن مختلف قطاعات مكان مصر وملابسهم وعاداتهم • وأخيرا فلا يجب علينا أن نفض المطرف عن كون حككيان أول موظف فى الادارة المصرية خلال القرن التاسع عشر يحتفظ بيومياته ومراسلاته وأوراقه الخاصة • ولاشك أن تسطيره معظم خواطره باللفة الانجليزية كان من تتأجم اقامته فى الجاترا والمقيه تعليمه بها (٣٩) •

<sup>(</sup>۲۹) يتشمع من مسرة خكائيات الدائية التي تحبيت في عام ۱۸۲۹ خطبة" إبراهيم أبو لفد حين يذكر في كتابه :

The Arab Rediscovery of Enrope (Princeton, N.J., (1988), P. 89 أن وقاعة الطهطاوى كان المبوث الوحيد التي أوروبا في عصر محمد على اللي سجل انطباعات عن السنوات التي أمضاها في الكارج . .

# الموضنوع الرابنع

مسدكرات نويسار باشسا

قليلة هي المذكرات الخاصة التي سطرها من لعبوا أدوارهم فى التاريخ العربي الحديث ، اذ ان عادة كتابة المذكرات الخاصةً بصفة منتظمة لم تتأصل فى تقاليدنا وخصــوصا أن قلة نادرة من ساستنا هم الذين يقدرون قيمة مثل همذه المذكرات بالنسببة الى الأجيسال الصاعدة ، وأن معظمهم لا يحتفظون بأوراقهم الرسمية ومكاتباتهم بالشكل الذي نلمسه لدى كثير من المستولين في الدول المتقدمة • ويجدر بنا أن تنساءل عن أسسباب هـــذا القصور: هل هي مرتبطة بنبط الحيساة الشرقية الصاخب الذي قد لا يدع للمستول فرصمة لكي يخلو الى تفسمه وبسطى خواطره بالتنظام ؟ أم هي مرتبطة بعدم الشعور بالأمن واحتمال أن تؤدى المذكرات الخاصة الى متاعب غير منظورة اذا ما تبدلت موازين السلطة ؟ حقيقة أن بعض الشخصيات العامة بقد نشروا « مذكراتهم » التي كتبوها من وحي الذاكرة بعــد مرور وقت طويل على الأحداث التي عرضوا لها : الا أن مثل هـــثاه « المذكرات » لا تعدو أن تكون ذكريات تلون الأحداث بالوان تبريرية على ضوء التطورات التي جرت وموقف المسئول منها • هذا الى أن ايقاع الزمن قد يجعل الذاكرة تخون صاحبها فلا يكون دقيقها عن عرض ما يسجله ب بالمهذكرات بمعنى الكلمة يجب تسجيلها آنيا على شكل يوميات منتظمة قد تطول وقد تقصر كما تستلزم المحافظة على المراسلات الخاصة التي قد تكشف ما لا تكشفه الأوراق الرسمية • وقد جرت عادة من خلفوا مذكرات خاصةً من الساسة الغربيين على الاحتفاظ بيومياتهم وأوراقهم وتسجيل وصية بالمكان الذى تحفظ فبه وبالمدة اللازم مرورها حتى يتاح للآخرين الاطلاع عليها ، وهي عادة نصف قرن يكون قد مات خلالها من وردت أسماؤهم في \_ ولو أن هذه المدة قد انكمشت شيئًا فشيئًا تتبجـة لسرعة ايقاع الحياة وتطور وسائل الاعملام وقيام بعض الحكومات دوريًا بنشر مقتبسات من أوراقها الرسمية بين وقت وآخر . بل أن المذكرات الخاصية لبعض المستولين المعاصرين قد أضبحت وسيلة من وسائل التكسب •

ومذكرات نوبار باشا التى نعرض لها ليست مذكرات بمعنى الكلمة ، بل انها « ذكريات » سطرها فى أواخر حياته خسلال الفترة الممتدة ما بين نوفمبر ١٨٩٠ ومايو ١٨٩٤ (١) • موجها أياها الى القارىء العام بل الى أسرته وحدها دون أن يشكر فى

<sup>، ` (</sup>۱) توق نوباد في باديس في ۱۲ يتأير ۱۸۹۹ ،

نشرها • ولعل هـذا راجع ضمنيا الى معاولته تبرير مواقفه الأبنائه وأحفاده ، لأن الدور الذي لعبه فى السياسة المصربة كان مثار جدل وخصوصا أنه كان من أبصار التدخل الأجنبي فى مصر، وأنه تعاون الى حد كبير من سلطات الاحتلال البريطاني • وسأقصر تعليقي على « ذكريات » نوبار على ملحوظات أوردها فى مواضعها ثم أعقب عليها فى آخر الأمر ، مفضلا استهلال عرضنا هِـذا بنبذة عن حياته •

ولد نوبار نوباريان فأزمير ف آسرة أرمنية في ينايره ١٨٠ وكان والده وكيلا لوالي مصر محمد على باشا في أزمير أولا ثم في باريس وكان الأرمن في ظل الحكم العثماني يشكلون ثم في باريس وكان الأرمن في ظل الحكم العثماني يشكلون والمنتمى الي أعيان الأرمن الذين سيطروا على « الطائفة » في الوقت الذي كانوا يشمغلون فيه وظائف عليما في الحسكومة اليونان في العشرينيات من القرن التاسع عشر وكان التجار ثورة اليونان في العشرينيات من القرن التاسع عشر وكان التجار البونان في العشرينيات من القرن التسمع عشر وكان التجار الذي أصاب الامبراطورية العثمانية موكان بعضهم يقوم باقراض النقود في حين أن البعض الآخر كان من الحرفيين والتجار ، التقود في حين أن البعض الآخر كان من الحرفيين والتجار وكانت أغلبينهم تقطن شرقي الإناضول في حين أن أكثرهم تعليما وتقدما كانوا يقطنون المدن الكبري وخصوصا استنانبول

وأزمير ، كما كان كثير من أغنيائهم يبعثون أبناءهم الى أوروبا لنلقى التعليم العلماني الذي لم يكن متوفرا في الاميراطوريسة العثمانيــة حينذاك ، وليلعبوا دورهم في الوســاطة التجــارية والدبلوماسية تتيجة لاتقانهم بعض اللغسات الأوروبية ـ ومن هؤلاء والد يوسف حكيكيان (٢) الذي كان مترجما لمحمد على باشا وطلب منه أن يرسل ابنه ( يوسف ) لتلقى تعليمــه في المجلترا . وهمكذا تلقى نوبار تعليمه الابتدائي في جنيف : ثم توجه الى سورين ــ بالقرب من تولوز ــ فى فرنســا حيث تلقى تعليمه بمدرستها الثانوية خالال الفترة الممتدة ما بين عامي ١٨٣٦ و ١٨٤٠ . وفي هذا العام الأخير توفي والده في مرسيليا مما اضطره الى العوة الى أزمير حيث أمضى بعض الوقت قبل أن يتوجه الى مصر التي تولى فيها خاله بوغوص يوسيفيان لفترة طويلة الاشراف على علاقات محمد على الخارجية ونشاطاته التجارية + وبادر بوغوص الى تقديم ابن أخته الى الوالى في سراى رأس التين ، ثم أسكنه معه وعينه سكرتيرا خاصا له . وكان الانطباع الأول الذي تولد لدى نوبار بعد انتقاله من أوروبا الى الشرق هو احساسه بالنقلة من العصر الحديث الي العصور الوسطى الشرقية • ونستشف من مذكراته كم كان يرثى

<sup>(</sup>۲) راجع بحثی من اوراق حکیکیان آل P.M. Holt (ed), Social and Political change, in Modern Egypt, (Oxford University press. 1968).

لعال خاله الذي كان باسستمرار يرتدى مسلابس « الرهايا » المسيحيين ويعيش فى عزلة تامة ولا يتوجه لمقابلة الباشا الا بعد أن يتلو صلواته الأخيرة بحكم أن الأحداث التى عاصرها والمناظر الدامية التى شاهدها قد أثرت كثيرا فى نفسيته بى بل انه كاد يفقد حياته تبيعة لاحدى سورات شك الباشا وغضبه ، ومع كل هذا فان بوغوص كثيرا ما كان يصارح الباشا يرأيه فى الوقت الذى كانت فيه نزوات الحكام وغضبهم تفضى الى الموت،

وفي عام ١٨٤٤ مات بوغوس فقيرا بل منقسلا بالديون ، وشهد جنازته كثير من سكان الاسكندرية المصريين والأجانب ، وحين علم محمد على أن دفن بوغوص لم يتم باحتفال رسمى اجتاحته نوبة غضب وأمر باخراج جثة بوغوص من القبر واعادة اجراءات الدفن باحتفال يشهده كبار الموظفين الذين لم يشاءوا في السابق أن تحاط جنازة ذمى باحتفالات رسمية مما آلم محمد على الذي كان يقدر خدمات بوغوص له طوال آكثر من بلائين عاما ، حقيقة ان أوامر محمد على بهذا الصدد لم تنفذ بحذافيرها ، الا أن كبار الموظفين المسلمين شهدوا احتفالا رسميا على روح بوغوص في كنيسة الأرمن وهو ما لم يسبق له مثيل ،

وبعد وفاة بوغوص عمل نوبار مترجما لمحمد على الذي منحه ثقته لاتقانه للغتين الفرنسية والتركية والمامه باللغــة

الانجليزية ولتقديره للخدمات التي قدمتها له أسرته ، ويذكر نوبار أنه قرأ رسالة غير واضحة الخط كان الدوق دى مارمون قد أرسلها لمحمد على ولم يستطع أحد قراءتها ، مما أدى الى ذيوع شهرته في حاشمية الوالي بصفته متعلما يتقن كثيرا من اللغات • ونحن نعتقد أن نوبار يبالغ في وصف أهميته بالنسبة الى الوالى ، اذ إن اتسماع العسركة التعليميسة في عصر محمد على الذي شهد ايفاد البعشات الى مختلف السلدان الأوروبية وخصوصا فرنسا ، ووقود عدد كبير من الأوروبيين الى مصر ، قد أمد حاشية الوالي بالكثيرين الذين يتقنون اللفسات الأجنبية ويمكنهم ادارة مراسلات الباشا . ونحن لم نعش في الوثائق البريطانية التي رجعنا اليها بصدد اواخر حكم محمد على والفترة القصيرة التى حكمها ابراهيم قبل وفاة والده على أية اشارة الى الدور الذي كان يلعبه نوبار لشاب في حاشية هذين الواليين • ولا يأتى نوبار في مذكراته بجديد حين يسجل أن محمد على قد أفسح المجال لتقدم مصر المادي على النمط الأوروبي باستقدامه الخبراء والفنيين الأوروبيين ( من أطبساء ومهندسين وضباط بحريين ) وتكريمه اياهم بقصـــد تشجيع رغاياه على أن يكرموهم بدورهم ، خصوصا وأن المسلمين من رعايا الدولة العثمانية برغم تخلفهم ، كانوا لايزالون يحتقرون الدميين ولا يسلمون بتفوقهم عليهم أو مساواتهم بهم وتوليتهم مناصب قيادية في أجهزة الدولة ، وفي القوات المسلحة . ويثنى

نوبار فى مذكراته على اتجاه محمد على الى مساواة المسلمين بالمسيحيين واستقدامه الخبراء من آوروبا وتخفيفه حدة الحواجز التى كانت لاتزال تفصل الشرق عن الغرب، ويقر ما ذهب الله معظم من تناولوا حكم محمد على من أنه مصلح عظيم حول معجرى تاريخ مصر الحديث وأقام فيها دولة راسخة الأركان بعد أن كان قد تسلمها ولاية عثمانية فقيرة ومتخلفة، بحيث أسبح يشار اليه باعتباره مؤسس مصر الحديثة ، حقيقة أن عهد محمد على كان شديد الوطاة على شعب مصر الذى ضحى بالكثير في سبيل اقامة الدولة الحديثة ، وامتثل لتوجيهات الباشا وشدته الا أن عهود الانتقال بما فى ذلك حكم محمد على قد لا تخلو من شدة مبعثها الرغبة فى اختصار مدى التطور ، وهكذا نجد نوبار يطلق على محمد على (ص ٦٥ من المذكرات) صفة نجد نوبار يطلق على محمد على (ص ٦٥ من المذكرات) صفة دو المتبربر العبقرى به 30 مدي المدكن .

ويرثى نوبار لازدياد شكوك محمد على وآوهامه فى أواخر حياته وخصوصا بصدد ما تخيله من أن ابنه ابراهيم يتآمر للاستيلاء على الحكم وقد يلجأ الى الأساليب الشرقية فيدس له السم ليتخلص منه ، وهذه الشكوك هي التي جعلت محمد على يستغنى عن خدمات نوبار ويعهد بها الى ابنه ربما ليراقب اتصالاته بالقناصل ، وقد اصحطب نوبار ابراهيم الذي داهمته الأمراض ب في أثناء الرحلات التي قام بها الى أوروبا وتوطدت علاقاتهما في تلك الأتساء بحيث بثه

أبراهيم طموحاته فيما لو تولمى حكم مصر • وفى باريس شرح نوبار لابراهيم الآثار التى شاهداها بحيث آحرز اعجابه • وبعد أن زارا لندن عادا الى مصر •

وفى خلال رحلة العودة أبدى ابراهيم شدة خوفه من طبيعة استقبال والده له وخشيته هو الآخر من أن يتعرض للموت بالسم • ثم توجه نوبار الى آزمير لقضاء بعض الوقت فيها ، وحين عاد الى مصر ( ١٨٤٦ ) عين في منصب السكرتير المترجم الثاني لمحمد على ، ثم رافق ابراهيم في زيارة ثانيـــة الى أوروبا ازدادت خلالها وطئة المرض عليه مما زاد في شكوكه وعصبيته . أما محمد على فقد كانت الفترات الأخيرة من حياته بمثابة مأساة حقيقية : فقد اختلط عقله وازدادت شكوكه في ابنه ابراهيم وباتت تمر به فترات من الجنون والخوف الحقيقيين ، كان يجهش خلالها بالبكاء ولا يهدأ الا أذا نقل الى مسكن ابنته نازلي ، وازاء ذلك فكر كبار الموظفين في اقامة مجلس للوصاية يتولى حكم البــــلاد ولكن ابراهيم رفض هــذا الاتجاه وتوجه الى استانبول لكي يضمن تنصيبه واليا • ولكنه لم ينعم بالحكم طويلا نتيجة لتدهور صحته • وكان نوبار يسرى عنه حتى وقت متأخر من الليل بأن كان عبـناس حلمي نــ حفيــد محمد على وولى العهد طبقـــا ألما نصت عليم الفرمانات تتيجة لكونه أكبر أفراد الأسرة سنا \_ يحثى أن يقضى عليه عمه مما جعله يؤثر الابتعاد عن مصر الى الحجاز • واشتدت آلام المرض على ابراهيم ، وفى النهاية توفى بين ذراعى نوبار ( ١٨٤٨ ) ، ولم يأسف عليه أحد لشراسته وقسوته • وبعد وفاة ابراهيم بثلاثة شهور لحق به والده • ويخصص نوبار الفصل السادس من مذكراته لرصد أهم اصلاحات محمد على فى مجالات الزراعة والرى وادخال محاصيل جديدة •

وفى وثيقة هامة أرسلها قنصل بريطانيا العام فى مصر الى حكومته فى ٥ أغسطس ١٨٤٩ (آ) نقراً الفقرات التالية: « ان تعلق كل طبقات مصر باسم محمد على واحترامها له يشكل جنازة أفخم مما كان بامكان حفيده أن يوفره (أ) ٠ فالسكان المتقدمون فى السن يتذكرون الفوضى التي انقذ هـذه البلاد منها ويتكلمون عنها ، فى حين يقارن السكان صغار السن حكمه المتميز بالحيوية بحكومة خلفه التي يجرفها الهوى والتردذ ، وجميع الطبقات ، سواء من الاتراك أو من العرب يجمعون بصراحة على أن رخاء مصر قد مات مع محمد على أو حسب مصطلحاتهم الشرقية - أن أنفاس مصر قد بارحت جسمها :

F.O. 78/804, No. 48 Murry to Palmerston.

۱۱۷ (۱) ابدى مباس كثيرا من المقوق لجده .. قلم يشترك في جنازته أو يصغر أمرا ناطلاق الحواليت والمصالح الحكومية ولم يدع السلك القنصلي بهاده المنامسية .

وفى الحق • • لا يمكننـــا أن ننكر أن محمد على ، برغم كل أخطائه ، كان رجلا عظيما • فحين نحكم على شخصيته لا يمكننا اطلاقا أن نسى أنه ، دون أن يتمتع بميزة من نسب أو من ثروة ، قد شق طريقه الى السلطة والشهرة بشجاعته الفذة وبدأ به وذكائه • فحين تولى الحكم كانت مصر مقطعة الأوصـــال تتيجة للنزاعات والشيع ، كما كانت تتعرض المسلب والنهب على أيدى عصابات جوالة من المغامرين ، كما كانت ماليتهـــا وتجارتهـــا مستنزفتين ، وفي كل محافظة كانت البصاة والأملاك تحت رحمية أصحاب السطوة • كما لا يجب علينا أن نشتد في انتقاده حين كان يضطر أحيانا ـــ بهدف القضـــاء على عوامل الشر والفوضى المستشرية لدى شعب لا يعترف بقانون آخر سوى القوة ــ الى اللجوء الى اجراءات تتصف بالقسوة والشدة . اذ يقر الجميع بأن محمد على ، لو حكمنا عليه بمقياس كونه تركيا ، لم يتصف بالقسموة : اذ ان العقوبات التي نفذها كانت ــ مع بعض الاستثناءات القليلة \_ لازمة لأمنه أو للمحافظة على السلام العام ، وأخشى آن أشارك الكثيرين في التصريح بأنه ـ مثل معظم من أطِلق عليهم لقب. « الأكبر » ــ كان مفرطا في حبه للشهرة غضبه الا أنه لم يكن يستمر طويلا .

« ومن النادر أن تصل الى مسامع المرء في آية ولاية من

ولايات الإمبراطورية المثمانية فقرة تشبه الفقرة التالية: اذا ما سبح لى لله فاننى أتنازل بكل سرور عن غشر سسنوات من حباتي لأضيفها الى حياة باشانا العجوز ، ولكننى علمت ان أكثر من شخص قد فاهوا بهذا التصريح خلال مرض محمد على وبالاضافة الى ذلك فمن واجبنا ، كأوروبيين ، أن تنصف ذكراه بأن تتذكر أن المسافر أو الرياضى أو عالم النبات والعيوان الانجليزي كان يستطيع خلال عدة سنوات لله الوقت الذي لم يكن يستطيع المسيحى فيه أن يتجول في حلب أو دمشق أو في أي مدينة خاضعة لحكم السلطان المباشر دون أن يتعرض الاذي أو الاهانة لله أن يتجول عزلا من السلاح في وادى النيل والصحارى المجاورة له ، وأن يضمن سلامة شخصه وأملاكه بالصورة التي يتمتع بها في حديقة هايدبارك في وضح النهار » ،

#### ...

ويتعرض نوبسار فى مذكرات الشخصية عباس الأول وشكوكه وما رواه الأوروبيون عن هواجسه واستبداده وتنحيته للاشخاص الذين ارتبطوا بالعهد السابق ، ولكنه مه ذلك يشيد ببنائه للمسكة الحديدية التي وصلت الاسكندرية بالقاهرة وقيض لها أن تمتد الى السويس فى عهد خلفه سعيد ، كما يشيد باعادته الأراضى الى الفلاحين الذين أرغموا على تركها ، ورغم شك عباس فى نوبار لشدة ارتباطه بعمه ابراهيم فاله لم يتردد فى

الافادة من خدماته (°) واصطحابه الى استانبول حين توجه اليها لتسلم فرمان توليته حسب العادة المقررة • ويذكر نوبار أنه ناقش فى العاصمة العثمانية مشروع مد السكة الحديدية الذى عارضته السلطات التركية على اعتبار أنه سيفصل مصر عن الدولة العثمانية ويلحقها بانجلترا وأوروبا •

وقد اختلف عباس عن جده وعمه فى سعيه الى هدم النفوذ الأودوبى فى مصر وتوثيقه علاقات البلاد بالدولة العثمانية معصوصا وأنه كان يعتقد أنه اذا ما تحتم عليه الخضوع لأحد فليكن « للخليفة العثماني » لا للأوروبيين و كما كان يرى أن الصراع بين السلطان ووالى مصر لن يفيد سوى الأوروبيين ولن يؤدى الا الى الانهنار التام للامبراطورية العثمانية بما فيها مصر : خصوصا وأن مصر لم تكن فى رأيه تتعدى كونها ولاية صفيرة لا امبراطورية كما كان عليه الحال فى عهد جده ، وبالتالى كان يتجه الى أن تتمشى مؤسساتها ونظمها مع حجمها وبالتالى كان يتجه الى أن تتمشى مؤسساتها ونظمها مع حجمها وطرد الطفيليين الذين وأى أنهم امتصوا دماه مصر فى العهد وطرد الطفيليين الذين وأى أنهم امتصوا حده الى احاطة نفسه السابق ، خصوصا وأنه كان يمقت اتجاه جده الى احاطة نفسه

ببعض الأوروبيين الذين كانوا يقيمون في مصر أو يفدون اليها باعتبارهم حلقة الوصل بينها وبين العالم الخسارجي • وهكذا أتجه عباس الى العزلة والى أحاطة نفسمه بأتباعه المخلصبين وحدهم ويبرر ذلك بقوله : « لست تاجرا ولن يفيدني هؤلاء السادة \_ فاذا ما شعلوا بتجارتهم فلن أطلب منهم ما يتعدى ذلك ، واذا ما اعتدى عليهم أحد فسأوفر لهم حمايتي ، وسأمنحهم مسائدة خاصـة اذا ما احتاجوا اليها ٥٠ ولا أود \_ كما كان الحال أيام جدى ٥٠ ـ أن يكون قصرى بمثابة مقهى يفد اليه الناس الذين ليس لديهم ما يشغلهم اكى يتجاذبوا اطراف الحديث » • أما علاقاته بالسلك القنصلي فلم تشبها شائبة ولكنها لم تصل الى مستوى العلاقة الوثيقة التي بلغتها أيام محمد على ، ومن ثم البرود الذي اتصف به استقباله خصوصاً وأن معظم رجال السلك القنصــلي كانوا من التجار • وفي عهده أنشت ادارة للجوازات في الاسكندرية لأن الاضطرابات التي عبت العانب الأوروبي من البحر المتوسط شجعت عددا من الأشرار ومن لا مستقر لهم على أن يفدوا الى مصر للاقسامة فيها (١) • ولم تكن علاقة عباس بكبار الموظفين على ما يرام ، كما أبعد عن الخدمة من كان يعتبرهم انصارا لفرنسا التي

<sup>—</sup> F.D. 708/804, no. 27 dated 6 May, 1949 from (1)

ساندت جده ، بل لقد ألغى المؤسسات التى كان يديرها فرنسيون وأجرى تمديلات كثيرة على ادارات الدولة دون أن يكون لديه من الخبرة السياسية أو التعقيل ما يجمسله يفرق بين الغث والسمين (٧) • ويسجل نوبار أنه طرد من القاهرة والاسكندرية تثيرا من السحرة وضاربي الودع ومن على شاكلتهم ونفاهم الى السعرة و الى السودان •

وفى رأى نوبار كان عباس تجسيدا « للسيد العظيم «Lc grand Scigneur» أو للأمير الشرقى الحقيقي : فقيد كان يعيش منعزلا متفردا ويصدر أوامره التى كان يتوقع أن تكون موضعا للطاعة العبياء ب وقد صرح لنوبار بما يلى : «بامكانى أن أعمل كل شىء ويشبهنى الجبيع فى أنهم يمكنهم عمل كل شىء » • • « أنا وزير ابن وزير وحفيد وزير • ولست تاجرا مثل جدى أو عمى ، وإذا ما كان على أن أحمى التجار فلست مازما بتقليدهم » • ويصف نوبار عباسا بالكرم فى حدود المعقول ، ويضرب مثالا على ذلك أنه دفع ديونه ( نوبار ) ويعلل ذلك بأنه لم يكن يحب أن يكون أحد حاشيته فى حاجة الى المال ، لأنه فى هدده الحالة يكون تابعا لدائنيه لا لعباس • • ورغم ما بؤكده نوبار وغيره معن تعرضوا لحكم عباس من أنه ورغم ما بؤكده نوبار وغيره معن تعرضوا لحكم عباس من أنه

كان غريب الأطوار (<sup>A</sup>) ومثارا لرعب الشعب ، الا أنه يقر بأن المصريين لم يعانوا فى عهده من الضغوط المالية والاقتصادية التى أثقت كاهلهم فى عهد جده ، وقد أغلق عباس المصانع والمدارس المرتبطة بالجيش ، وذلك لادراكه أن شراء المصنوعات من أوروبا مباشرة أرخص تمنا وأحسن نوعية ، كما ألغى احتكارات الدولة (<sup>A</sup>) التى فرضها جده بحيث توفرت للفلاح حرية بيع محاصيله للأجانب نقدا ولم يعد مضطرا لدفع الضرائب عينا بعد أن توفرت له النقود ،

ويندد نوبار فى مذكراته فى آكثر من موضع بالسخرة ذلك النظام الذى عرفته مصر منذ أقدم العصور للقيام بالخدمات العامة وخصوصا ما يتعلق منها بمقاومة فيضان النيل بتعلية الجسور وتقوية شواطىء النهر واقامة السدود والقناطر والقنوات ، ثم امند ليشمل كل الأعمال العامة التى تضطلع بها الدولة والحاكم • وكان الفلاح المصرى لا يتقاضى أجرا عن القيام بهذه الأعمال ، ولا يصرف له غذاء أو بكرس اهتسام

 <sup>(</sup>٨) يقدال الله كان عملةًا- في تصره بنه، حسمتألس كان بغيف به
 القناصل الأجالب -

<sup>(</sup>٢) لكى تضعفع برطانيا الاسماس الاقتصادى اللى ارتكر عليه حكم محدد على عقدت الفاقسة تحاربة مع المدولة السمانية ( ١٨٣٨ ) نصت على حرية التحارة داخل املاكها • ويخطى، توبار حين يلحب ( ص ٨٢ ـ ٨٣ ) الى أن عده الماهدة تد وتعت في عام ١٨٣١ •

بأحواله الصحية ، بل انه كان أحيانا عرضت للجلد بالكرباج وبين ويربط نوبار (ص ٨٣ – ٨٤) بين السخرة والكرباج وبين الاستبداد الذي عرفته مصر منذ أقدم العصور ويفسر ذلك بالنظام الزراعي الذي جعل حاكم البلاد يركز السلطة في يديه لكي يتسنى له الاشراف على توزيع مياه النيل ومقاومة الفيضان واقامة نظام رى الحياض المشهور و وبطبيعة الحال لم يعد هذا النظام يتمشى مع المبادى الانسانية التي عرفها القرن التاسع عشر فقد ندد به الأحرار من الانجليز بوجه خاص وجعلوا منه منطلقا لمناصبة نظام محمد على العداء ، كما أنه كان مناقضا لروح الاصلاحات التي شهدتها الدولة العثمانية فيما عرف باسم « التنظيمات الخيرية » التي كانت تهدف فيما عرف الى تحديث الدولة وكسب مسائدة الدول العظمى حدوبيطانيا بوجه خاص له فيما تهدف الى تحديث الدولة وكسب مسائدة الدول العظمى

وقد استولى عباس على الاقطاعيات التى وزعها محمد على على أسرته وحاشيته التى كانت ترتكز على الأثراك والشراكسة ، مما جعل كل هؤلاء يهاجرون الى استانبول حيث شكلوا حزبا مناوئا لعباس ـ فطالبه أبناء وأحفاد محمد على بأن يرد اليهم ميراثهم من أرض ومجوهرات ـ ومن ذلك اقطاعيات محمد على التى بلغت ٥٠٠٠٠٠٠ فدان ، كما طالبوه بأن يرد اليهم تفقات التى بلغت ١٠٠٠٠٠٠ فدان ، كما طالبوه بأن يرد اليهم تفقات اصلاح هذه الأراضى بما فى ذلك المبانى التى أقيمت عليها

والأشجار التي غرست فيها • وأصر عباس على موقِفه وذهب الى أن الأموال التي أنفقها محمد على وأنفقوها هم كانت فى الأصل ملكا للحكومة التي يحق لها أن تستردها •

وواصل نوبار العمل مع عباس باعتباره سكرتيرا مترجما ثم مديرا لادارة التفتيش الصحى • ورغم أن الوالي لم يعينه وزيرا للخارجية ـ اذ ان مصر ، باعتبارها ولاية عثمانية ، لم يكن يحق لها أن تكون لها سياسة خارجية مستقلة في حين كان يمثلها في الخارج سفراء الدولة العثمانية ـ الا أنه كان يضطلع بأعمال تتصل بعلاقات الولاية المحدودة بالخارج، خصــوصا وأن الدولــة العثمانيــة حاولت أن تطبق في مصر الاصلاحات المرتبطة بالتنظيمات الخيرية التي تضمنت وعد السلطان باقامة العدالة في أملاكه وتحديد كمية الضرائب وتنظيم تحصيلها وتأمين المرء على حياته وماله وعرضه ، كما تضمنت تحديد مدة الخدمة العسكرية ، وكان عباس برى أن تحويل ملفات حالات الاعدام الى استانبول للحكم فيها من شأته أن يهدد الأمن والنظام في البلاد على اعتبار أن سرعة تنفيذ الأحكام من شائها أن تردع المذبين • لهذا قاوم تطبيق التنظيمات في مصر الا اذا عدلت بحيث تتمشى مع عادات البلاد وتقاليدها وما جرى به عرف الولاة فيها • وأرسل نوبار الى استانبول للتفاوض مع

الباب العالى يشأن هـنه المسألة (۱) وفي العاصمة العثمانية اتصل نوبار بالسفير البريطانى الذى كان يتمتع بنفوذ قوى فى الدوائر العثمانية مبعثه قوة شخصيته ودفاع بلاده عن الدولة فى وجه طموحات محمد على ومساندتها لبرنامج الاصلاحات التى تضمنتها انتنظيمات الخيرية ، وذلك كى تستطيع الدولة أن تقف على قدميها وتقاوم الضغط الروسى وتوفر حاجزا قويا فى وجه التوسع الروسى صحوب الهند والمياه الدفيئة (۱۱) ، وتفذ نوبار فى الآستانة مهمته على خير وجه وحصل على مساندة السغير البريطانى لموقف عباس بشأن مسألة (القصاص) الني سدويت المسالحه ، ويبدو أن نوبار تناقش فى استانبول مع السيغير البريطانى حول مشروع الخط الحديدى بين الاسكندرية والسويس ، وهو المشروع الذى كان قنصل بريطانيا العام فى مصر (مرى) قد عرضه على الوالى فى بداية حكمه تنفيذا

<sup>(</sup>١) قدم التحار في الاستخدارية والقاهرة ومواطنون اخرون من ذوى الحيثية محيف... ألى القنصل الرسطاني المام سحلوا فيها احتجاجهم على قرار المات العالم، الخياص بحومان الوالي من حق تنفيذ حكم الاهدام في المجرمين المأت الديشية بالمثن و وقد طللت العريشية بالمثن و وقد طللت العريشية بالمثن من المنفيذ بدر الوالي محافظة علم الامن والمصدوا القنصل العام أن يلتمس استحر العرب العرب العرب العرب المنافيذ في استأنول سحب سراتفود كالمحج ان يستحي الريطاني في استأنول سحب سراتفود كالمحج ان يستحي الى باجول التحداد قرار بصدد عده المالمة حتى تبحثها المحكومة الريطانية للي المحدد المنافيذ قرار بصدد عده المالمة حتى تبحثها المحكومة الريطانية المحدد المنافقة المحددة القرار المالية المحددة المنافقة المحددة المنافقة المحددة المنافقة المحددة المنافقة المحددة المنافقة المنافقة

لتعليمات حكومته (١٢) • وحين عاد نوبار الى مصر نصح عباس بتنفيد الشروع وبين له آنه سيفيد التجارة والمواسسلات الأوروبية ويساعد على تطوير الادارة المصرية بحيث تحصل البلاد على عطف الرآى العام الأوروبي مما يساعدها فى نزاعاتها مع الباب العالى • واقتنع عباس بوجهة نظر نوبار وتفاوض فى هذا الشأن مع قنصل بريطانيا العام ، وأرسل نوبار الى لندن للتفاوض مم المسئولين البريطانيين • ونجحت المفاوضات وبدى فى مد الخط الحديدى الذى ربط الاسكندرية بالقاهرة فى عهد عباس ثم أكمل فى عهد خلفه سعيد •

ورغم ما تواتر عن كره عباس للأرمن فى أواخر عهده (١١) ، فانه عهد الى نوبار وأخيه استيقان بتمثيله له فى برلينوفينا ، ولم يمر وقت طويل على رحيل نوبار الى فينا حتى وصله خبر موت عباس ، وفى الفصل العاشر من مذكراته نجده يسرد مختلف الروايات التى جرى تداولها بهذا الخصوص حدا برغم أن الطبيبين الإيطاليين اللذين فحصا جثته أرجعا وفاته الى نوبة من

<sup>,.</sup> F.O. 78/804, No. 3 from Murray to Palmerston,  $_{\{\,\}\,Y\,\}}$  dated 16 Jan., 1849.

<sup>--</sup> F.O. 78/919, no. 30 Green to Clarendon, dated (17)

الصراع (١٤) • وعلى أي حال فقد أدت وفاة عباس الى الماء تمثيل مصر في برلين وفيينا واعفاء نوبار من المخدمة باعتباره أحد رجال عباس . ولعل هـ ذا هو السبب الذي جعله يتصدى للدفاع عن عباس وسياسته ، فيصف عصره بأنه يسجل مرحلة من مراحل تطور مصر ، ويفند وجهات نظر من هاجموه ، مسجلا أن عصره الذي لم يعرف عنه الكثير قد تعرض للنقد الشديد وأنه كان موضعا للتجنى والأحكام الخاطئة \_ فقد ساده الأمن بالشكل الذي لم تعرفه مصر حتى ذلك الوقت ، كما يمتدح تنففيضه لنفقات الدولة وشدة حرصه على مصالح البلاد . وبمكننا ان تنيين حقيقة حكم عباس بمقارنة ما سجله نوبار بما كتبه قنصل بريطانيا على آثر وفاة عباس (١٠) \_ فقد آكد حمق سياسته وتكديسه الأموال في خزائنه مما تسبب في افلاس الدولة ، وسجل أنه كان يبدى ميلا طفوليا إلى البناء والمفروشات مما جعله ينفق كثيرا من المال ، في الوقت الذي لم يكترث فيه بالادارة العامة وبمرتبات الموظفين ، بل انه وصل الى حه

<sup>-</sup> F.O. 78/1036, no. 35, Bruce to Clarendon, (10) dated 17 July, 1854.

ويؤكد بروس ( في رسالته رقم ٣٩ الؤرخة ١٣ أفسطس ١٨٥١ ) أن عباسا لم يعت مقتولا وأن أطباءه كانوا يتوقعون إما أن تداهمه توبة المرع في أي وقت أو يصاب بالجنون ، واستدلوا على ذلك بقسومه الشديدة في أواخر عبده والثلاث أهصابه .

<sup>(</sup>١٥) الرسالة رقم ٣٩ السابقة ،

الامتناع عن دفع مرتبات الموظفين والجيش والخدمات العامه ويعزو اتجاهاته الى كونه الوحيد فى اسرة محمد على الذى لم يتلق تعليما أوروبيا أو يلم بلغة أوروبية أو يتوجه الى أوروبا ولو مرة واحدة بحيث لم تكن لديه أية فكرة عن حضارتها ويضيف الى ذلك أن عباس قد تربى على الطريقة التركية حيث عاشر الخدم الذين لقنوه كيف يكره أوروبا •

ورغم انحياز نوبار الى عباس حين قيم عهده ، فانه كان على المكس من ذلك شديد النقد لخلفه سعيد الذي تعرضت مصر في عهده للغزو والانتهاب على آيدى المناصر الأوروبية التي تدفقت عليها وكل همها الكسب السريع بأي ثمن • ويشميد نوبار الى الفوضى التي آحدثتها همذه المناصر في بلاط الوالى وفي الادارات الحكومية وفي أوضاع المصريين بوجه عام ، ويعزوها الى شخصية الوالى الذي يكرر نوبار في آكثر من مناسبة أنه كان يفتقر الى احترام الذات وأنه كان يعشق المظاهر ويعب أن يمكون موضعا للاطراء مد فقد اهتم بالجيش وبالاستمراضات العسمكرية وأنفق الأموال بسخاء على شراء ملابس فاخرة للضباط والجنود واقامة المسكرات التي كان بعض خيامها من الحرير الخالص •

وكان سعيد قد استدعى نوبار من فينا وعينه رئيسا لمحكمة الاستثناف ثم مديرا لادارة الترانزيت والسكة الحديدية • والى

هنا يكون نويار قد اكتسب ثقبة اربعة من الولاة • ويعلق القنصل البريطاني على تعيين نويار في منصبه الجديد على الوجه التالي (١٦) : « انهي أعتبر اختيار نويار يك بوجه عام أمرا مرضيا جدا \_ فلما كان قد ولد رعية للباب المالي فانه يجمع بين ذكاء الأوروبي وتعليمه وبين المعرفة التامة بالأتراك ولفنهم • ولما كانوا يعتبرونه واحدا منهم ، فان ذلك يوفر تفليا على صمويه كبيرة ، ولولا ذلك لكان هـــذا التعيين مصدرا لغيرة الأتراك الذين اعتقدوا أنهم أرغموا على وضم أجنبى على رأس واحدة من أهم ادارات الحكومة خصــوصا وأنهم يعظون بقدر كبير من الرعاية ، ولدى معرفة كافية بالصعوبات التى تواجه مدير الترانزيت والسكة الحديدية فيمصر بحيث أشعر بشيء من القلق بشأن نجاح المدير الجديد ، وسأسعى باستمرار الى أن أيذل له كل مسائدتي الرسمية \_ اذ من سمع، الحظ أنه من المؤكد أن الموظفين الأتراك لا يمكنهم أن يقفوا على أقدامهم فى وجه المؤامرات والضفوط المستمرة التي تواجههم بدون الميزة التي يوفرها التدخل الأجنبي ــ ولدينا مصلحة حيوية في أن تكون ادارة المواصلات الحديدية مرضية بحث بكون تدخلنا أمرا مشروعا » •

<sup>--</sup> F.O. 78/1314, no. 92, Green to Clarendon, (1%) dated 22 dec., 1857.

. وأول ما لاحظه نويار لدى عودته الى مصر ازدياد أعداد الأوروبيين ودبيب الحيوية في أبناء البسلاد الذين زال عنهم الخوف الذي خيم عليهم في عهد الوالي السمايق ، يحيث لم يعودوا يخشون التعبير عن آرائهم بحرية ، وبحيث مالوا الى الخروج للنزهة . كما أن نشوب حرب القرم التي استمرت ما بين عامي ١٨٥٧ ، ١٨٥٦ قد تسبب في انتعاش البلاد بسبب ارتفاع أسعار الحبوب الى ثلاثة أضعاف ما كانت عليه بحيث لم يعد الحكام يصطنعون القسوة في تحصيل الضرائب وبحيث ازداد ثراء المسلاك ، وقد شجعت الحرب التجار اليونانيين والمشارقة على التغلغل في الصعيد خصوصا وأن سعيد قد أكد حرية التجارة التي شهدها عصر عباس كما اكد حرية تملك الأراضي التي بدأت أيضا في عهد سلفه • ولكنه كان يضيق بالشئونالادارية ويحيط نفسه باشخاصعديمي القيمة والشخصية خصوصا وأنه كان يعتبر نفسه رجلا عسكرية لا يحترم الا المسائل المتصلة بالشيئون الحربية وحدها ، مما جعل المديرين وحكام الأقاليم يحذون حذوه • كما كان يرحب بثناء المقيمين الأوروبيين فى البلاد عليه ووصفهم له بأنه لبرالى ذو أفكار عالية • ورغم ذلك فان نوبار يسجل أن أمور مصر سارت على ما يرام بدون تدخل السلطة المركزية وأن هــذا يثبت عدم صحـة الفكرة الذاهية الى ضرورة حكمها بالشدة وبالسخرة والكرباج ٠

الا أن ازدياد تدفق العناصر الأوروبية على البسلاد قد أثار مشاكل لا حصر لها كانت ناتجة عن الامتيازات الأجنبية القديمة التهر منحتها الدولة العثمانية للأجانب المقيمين في أراضيها منذ عصر السلطان سليمان القانوني (في القرن السادس عشر ). فطبقا لهذه الامتيازات كان الأجنبي لا يحاكم الا فىالقنصلية التابع لها ولا تنطبق عليه القوانين المحليــة المستقاة من الشريعة الاسلامية ، كما كان مسكنه لا يفتش ولا يتعرض للقبض عليم الا باذن من قنصليته ، مما ساعد على التهريب والاجرام والتستر على المجرمين المحلبين والضغط على الحكومة المصربة وابتزازها بالتهديد والوعيد والحصيول على تمويضات وهمية على أبدى القناصل الذين كان معظمهم من التجار عديمي الذمة والشرف . ويصف قنصل بريطانيا العام هؤلاء القناصل على الوجمه التالي : (١٧) « أن القناصل العموميين الذين يقبضون مرتبات هم التابعون لفرنسما والنمسما وبروسيا واليونمان وأسبانيا والولايات المتحدة وسردينيا وانجلترا وروسيا ء آما القناصل العبوميون الذين لا يقبضون مرتبات ويعملون بالتجارة فهم قناصل هولندة وبلجيكا وتسكاينا ونابولي • ومعظم هؤلاء السادة ليسوأ حتى من مواطني البلدان التي يمثلونها ( ومن

<sup>-</sup> F.O. 78/1233, no. 13, from Bruce to (IV)

ذلك أن قنصل نابولى العام مشرقى عادى آمكنه أن يحصل ثروة ) فى حين أن بعضهم قد اشتروا تعيينهم مقابل دفع مبلغ من المال و والكل قد سعوا الى الحصول على مناصبهم لا من أجل مراكزها ، بل من أجل الفرص التى توفرها لاستغلال المشروعات الحكومية • وهم لم يتلقوا أى تعليم يؤهلهم للمهام القانونية التى يطلب منهم الاضطلاع بها ، ومن الطبيعى أن يسعوا الى اقامة علاقات طيبة بالحكومة المحليسة وأن يستغلوا لمصلحتهم الخاصة ما يوفره لهم منصب القنصل العام من سهولة الاتصال بالوالى » •

وتتضمن مذكرات نوبار نماذج عدة للتعويضات الوهبية المبالغ فيها التى أرغمت الحكومة المصرية على دفعها نتيجة للارهاب الذى فرضته بعض العناصر الأوروبية ، متحالفة مع القناصل ، على سعيد الذى اتصف بالتجبر مع المصريين والضعف أمام الأجانب و وهكذا كانت الامتيازات الأجنبية فى عهده بمثابة رأس العربة لذلك الغزو الخاطف لمصر بحكم أن الأجانب عمدوا الى اغراء الحكومة المصرية ، بصفتها المنتج الأكبر والوحيد فى مجتمع لم تعبد أرضه بعد للاستغلال الصناعى والوحيد فى مجتمع لم تعبد أرضه بعد للاستغلال الصناعى والتجارى ، وبعرور الزمن لم يعد الأمر خاصا بقناصل يتكسبون أو يتحكمون ، بل أنه ارتبط بأوضاع اقتصادية

واجتماعيــة تتسرب من الغرب الى المجتمــع الزراعي المصرى وتتخذ فيه مكانها وتفرض عليه قوالينها •

ومن تنائج ضعف سعيد مع الأجانب منحه امتياز قناة السويس لصديق صباه فردنان دلسبس دون ان يحتاط ضد ما تضمنه الامتياز من افتيات على البلاد وحكومتها و فقد تعهد سعد لدلسبس بالتنازل لشركة قناة السويس عن جميع الأراضى اللازمة لعفر القناة الملحة وبان يعفر قناة للمياه العذبة من النيل الى منطقة القناة وأن تتنازل العكومة كذلك عن الأراضى اللازمة لها وهي مساحات شاسعة آخذت دون مقابل وكما تتهد بوضع العدد الكافى من الفلاحين تحت تصرف الشركة لتشغلم بمعرفتها وتحت ادارتها فى أى نوع تريده من الأعمال الجمركية المستحقة عليها و وأثبت نوبار أنه ضد كل عمليات الجمركية المستحقة عليها و وأثبت نوبار أنه ضد كل عمليات الإبتزاز هذه ، فقد تنبه الى مساوىء التدخل الأجنبي وحاول أن يتصدى له و فبعد تعيينه مديرا للسكة العديدية صاول أن يصلح أوضاعها المضطربة وتصدى للاضراب الذي قام به الميكانيكيون الأووويون واستبدل بهم ميكانيكيين مصريين ،

<sup>(</sup>۱۸) كانت المحكومة تسوق للشركة للممل في كل شهر حوالي عشرين ألف عامل ، وقدر أن مثل هسدًا المدد من العمسال كانوا يساقون في نفس الوقت في الطريق من بلادهم التي منطقة العمل ومثلهم يجمعون في بلادهم الأهبا للرحيل ، ليكون المجموع حوالي ، 1 ألف عامل كل شهر ،

وذلك رغم احتجاجات القناصل ومخياوف سعيد كما خلص الادارة من التدخل الأجنبى وقلل من اللجوء الى السخرة فى أعمالها وحين اضطر سعيد الى الاقتراض نتيجة لاسرافه حاول بنك الكونتوار دسكونت Conptoir d'Escompte الفرنسى أن يكون ضمان القرض على شكل اشراف على مالية مصر والا أن نوبار رفض تنفيذ طلب سعيد الخاص بكتابة خطاب بهذا الصدد وحين ازدادت اجراءات الابتزاز من جانب الأوروبيين لأموال مصر والمصرين على شكل تعويضات ، وتم الترح تشكيل اللجنة بالفعل ولو أنها لم تنجز الكثير بسبب تحيز أعضائها و

وفى عام ١٨٦٢ اصطحبه سعيد الى باريس ولندن • وفى العاصمة البريطانية تباحث مع لورد بالمرستون حول قناة السويس ، كما ناقش فكرة انشاء محاكم مختلطة (١٩) تقضى على فوضى القضاء القنصلى ويشترك فيها قضاة مصريون

<sup>(</sup>١٩) حاول قنصسل بريطانيا المام أن نقنع عباس الأول بانتسام محالم مختلطة .

F.O. 78/804, private letter from Murray to Palmerston, dated 6 April, 1849.

ويحتوى ملف وزارة الخارجيـة البريطائية ١٨٠/١٨ على كثير من الوئائق التى يشمم منها سعى بريطانيا ، في كل من القاهرة وامسـتانبول ، الى الخامة مئل هذا النوع من المحاكم ،

وأجانب في حسم القضايا المدنية والجنائية الخاصة بالأجانب . وكان نوبار مقتنعا بأن استقلال مصر لم يكن محصورا في هذا الامتياز أو ذاك المكن الحصول عليه من الحكومة العثمانيــة ، بل في زيادة قوة مصر بتحسمين ادارتها وهو أمر لا يتسنى تحقيقه ما دام الى جانب الحكومة المصرية سبع عشرة قنصلية ينتمي اليها ١٥٠٠ر١٥٠ أوروبي وتتمتع كل منهـــا بسلطة تضاهى سلطة حاكم مصر ماديا وادبيا وتعرقلها فى كثير من الأمور ، وكان خير عـــلاج في رأيه هو جمـــع المحـــاكم والسلطات القضائية العديدة في مكان واحد يخضع له الجميع على السواء دون تمييز أو استثناء • ومن ناحية آخرى كان نوبار مقتنعا بأن خير نظام للحكم في الشرق هو الحكم المطلق بشرط أن يخضع الحاكم لسلطة القانون المستند الى دعامة أخرى مستقلة عن الحاكم وأقوى منه وذلك بفرض عنصر أوروبي على القضاء المصرى بحيث لا يخاطر الحاكم بتحديه خوفا من الدول الأوروبية (٣٠) ٠ وفي طريق العودة الى مصر ناقش نوبار مع السفير البريطاني في الآستانة \_ سير هنري بلور \_ موضــوع قناة السويس • وكانت بريطانبا منذ البداية تعمارض المشروع وضربت على الوتر الحساس حين لفتت نظر الباب العمالي الى

<sup>(</sup>٢٠/ أحمد عبد الرحيم مصطفى ، مصر والسالة المصرية من ١٨٧٦ الى ٢٠ م ٢٠ م

خطورة انشاء هــذا الطريق المائى الذى قد يؤثر على نظام الدفاع عن مصر بحيث يتوقف ارتباطها بالدولة العثمانية على حسن نيات الوالى الذى قد يفيد من التسهيلات المادية التى يوفرها له حفر قناة السويس فيخلع ولاءه للباب العالى ويعلن استقلاله مدفوعا الى ذلك بأطماعه الشخصية أو بتحريض أى جهة أخرى ، كما وجهت نظر انساسة الأتراك الى أن سعيد قد أرفق بعقد الامتياز الأول خطابا أقر فيه أن عقد الامتياز ذاته يجب أن ينال موافقة الباب العالى (٢١) ، ورغم ذلك فقد كان نفوذ دلسبس ، المستند الى تعضيد الحكومة الفرنسية ، يجرف كل شيء أمامه خصوصا وأنه كان يباشر نفوذا شخصيا قويا على الموالى الذى لم يعبا بمعارضة بريطانيا بحيث ان مياه البحر وسيسعى نوبار في عهد الخديو اسماعيل الى التصدى للشروط المجمعة التي تضمنها امتياز القناة دون أن يقضى على المشروط برمته ،

...

أما القسم الرابع من المذكرات الذي يشغل أكثر من نصف حيزها ، فهو يتناول عهد العديو اسماعيل ( ١٨٦٣ – ١٨٧٩ ) ويمكن اعتباره أهم أقسام مذكرات نوبار ، فقد تقلب نوبار في

<sup>(</sup>٢١) أحمد عند الرحيم مصطفى : علاقات مصر بتركيا في عهد الخديد . اسماصل ، عن ٢١ - ٢٣ -

عهد هــذا الحاكم في عدة مناصب هامة فرض طابعه عليهــا وانخذ فيها عدة قرارات هامة واستطاع اقناع اسماعيل بالموافقة عليها واختلف معه بصددها مما أدى الى اعفائه من منصب عدة مرات ليعود اسماعيل الى تعيينه من جديد لشدة حاجته اليه، وقد شغل نوبار في عهد اسماعيل الحقائب التالسة : وزارة التجارة ووزارة الأشخال العامة ووزارة الخارجية ورئاسمة مجلس الوزراء ورئاســة أول وزارة « مســئولة » • وكانت المناصب التي تولاها نوبار في عصر اسماعيل تتصل من قريب أو من بعيد بمسائل ذات صفة سياسة ، واستطاع هو أن يفرض طابعــه عليها مستعينا في ذلك بذكائه الفطري ونشـــاطه الجبر واستعداده الدائم المتعلم واتقانه لعدة لغات ء وآيا كان المنصب الذى شغله فانه كان يتمسك بمبادىء أساسية ترتبط بمصلحة الشعب المصري سمواء آكان يتولى منصبا رسميا ام لا ، بل وفي أثناء وجوده في المنفي ، ومصدر هذه المباديء جميعا هو مفهوم العدالة الذي تمسك به تمسكا شديدا: قهو يتصدى للاستبداد وقسوة الضرائب والأساليب التعسفية التي اتصفت بها الادارة المصرية التي لم يحكمها قانون ، كسا يتصدى للامتيازات الأجنبية والسخرة ، ونعن نجده يعبر في مذكراته عن حبه الصادق لمصر ، وهو ما تلمسه في أقواله التي منها : « ان الاقامــة في أوروبا شـــاقة بصــورة أو باخرى على الشرقي ، أيا كانت الراحة التي ينعم بها المرء في اثنائها • ففيها لا يستطيع الذي يحيا ويؤكد ذاته • ويمكنني أن أقول انني أمضيت في الخارج اثنتي عشرة سنة من مجموع سنوات حكم اسماعيل البالغة خمسة عشر عاما (۱۱) ، قمت خلالها بمهمات ورحلات وقضيت فيها فترات في المنفى • وكنت باستمرار أشعر بالأسي لبعدى عن مصر وأحن اليها ـ ولدى عودتي اليها كان يغمرني السرور الشديد » (۱۲) •

وفى عام ١٨٩٧ كتب ما يلى الى زوجته التى كانت فى نيس: 
« فسرت لك فى خطابى السابق سبب تأخير رحيلى الى استانبول ١٠٠ اننى أتتمى الى مصر ولن نستطيع ، أنت وأنا ، 
أن نميش فى مكان آخر ١٠٠ وذلك رغم أن الحياة فيها مستحيلة 
طالما يعيش فيها الأوروبيون دون أن تحكمهم قيود أو قانون 
وطالما لا توجد لدينا محاكم ١٠ اننى أثالم لأننى لا أطيق الظلم ، 
ولمحن بحاجة الى محاكم تحمينا من الأوروبيين ومن الوالى ، 
فمثل هذه المحاكم توفر لنا العبش الآمن والكريم ، اننا بحاجة 
الى محاكم تجعل مصر هى مصر ، وإن اقامة المدالة هى التى 
ستسير بنا رأسا الى الاستقلال ، وحين عبر لى الوالى عن 
طموحه الى الاستقلال كان ردى الضريح عليه هو أن أول ما يجب

<sup>(</sup>٢٢) بلغ حكم اسماعيل سنة عشر لا خمسة عشر عاما ،

<sup>(</sup>۲۳) مذکرات ثوبار ۽ ص ۲۹۹ ٠

علينا عمله هو أن نكون رجالا وأن نرفع النير الذى يفرضـــه علينا الأوروبيون » •

لهذا بذل نوبار في عصر اسماعيل جهودا متواصلة (يفصل الكلام عنها في مذكراته ) لاقامة المحاكم المختلطة • فقد أجرى مفاوضات مع الدول السبع عشرة المتمتعة بالامتيازات الأجنبية. وعلى حين أنَّ انجلترا وألمَّ انيا والنمسا كانت في صف الاصلاح القضائي فقد عارضته كل من فرنسا والدولة العثمانية • ففرنسا كانت تعتبر نفسها الراعي التاريخي الامتيازات الأجنبية ، في حين لم ترحب دوائر استانبول بالمفاوضات المباشرة بين مصر والدول وذلك على اعتبار أن الاصلاح المرغوب فيه يتضمن خْرَقًا للشريعة الاسلامية التي تأتف أن يعاكم المسلم على يد ذمي ، ولأن تطبيق قوانين أجنبية في احدى الولايات قد يؤدى اني سيطرة الأجانب عليها • وتوجت جهود نوبار بالنجــاح في آخر الأمر وافتنحت المحاكم المختلطة في اوائل عام ١٨٧٦ • وكان العنصر الأسماسي فيهما من الأوروبيين الذين كانت تعينهم حكوماتهم • أما القوانين المطبقة فيها فقد اختلفت اختلافا أساسيا عن أحكام الشريعة الاسلامية التي كانت من الممكن الرجوع اليها • وعلى حين لم يسمح باستعمال اللغة العربيـــة فيها فقد كانت اللغات السارية فيها هي الفرنسية والانجليزية والإيطالية . حقيقة ان نوبار قد سعى بحسن نية الى تنظيم القضاء القنصلي الا أن قوانين المحاكم الجديدة لم تكن معروفة لدى الفلاح العادى مما جعلهـ ا وسيلة لابتزاز الفلاحين على آيدى المرابين الأجان ، وفي علاقاتها بالحكومة خولت النظر في كل الحالات التي تمس فيها الاجراءات الادارية حقوق الأجانب ، كما أنها بحكم وجوب افادتها بكل القوانين العقارية الجديدة ادعت لنفسها ضرورة الموافقة على كل قانون يمس نظـام الضرائب • وأهم من هــذا أنها عرضت اسماعيل وكل أفراد أسرته لأحكامها في كل ما يمس مصالح الأجانب مما أدى الى تصويب ضربة شديدة الى ما كان يتمتع به ولاة مصر من حكم مطلق ــ وقد يكون هذا هو الهدف الرئيسي لنوبار الذي كنب لأحد أصدقائه بوم توقيع الاتفاقية الخاصة بانشاء المحاكم المختلطة : « اليوم وضع أول لغم تحت سلطة اسماعيل وأظن أن هــذا اللغم سينفجر يوما ما » (٢٤) . حقيقة أن المحاكم الجديدة نظمت القضاء القنصلي ولكنها لم تلبث أن ووجهت النقد فيما بعد الأنها نصبت قضاة أجانب للحكم في المسائل التي تهم المصريين ولأن انشاءها هي والمحاكم الأهلية قد أدى الى تراجع أحسكام الشريعة الإسلامية .

الا أن كثيرا من المصريين والأجانب رحبوا بالاصلاح

Sabry L'Empire Egyptien sous Ismail, P. 318. (Y()

القضائمي بحيث افتتح في اليوم التالى لوفاة نوبار اكتناب لاقامة تمثال له في الاسكندرية التي قامت فيها محسكمة الاستئناف للقضاء المختلط و وقد ساهم في هذا الاكتتاب كثير من سكان مصر من أهال وأجائب ، بل لقد ساهم فيه عدد من فقراء القرى والفلاحين الذين تبرعوا بقروشهم القليلة لاحياء ذكرى « أبو الفسلاح » الذي دافع عنهم وخلصهم من الظلم الذي كانوا يرزحون تعته •

كما بذل توبار جهودا منواصلة من أجل تقليص الامتيازات التى حصبات عليها شركة قناة السويس ، ففى استانبول عول على الاعتماد على انجلرا من أجل القضاء على امتيازات الشركة ، وعلى فرنسا للتغلب على محاولة كل من انجلترا والباب العالى فرض السيادة العثمانية المباشرة على مصر (٣٠) ، دلسبس الى اتفاق وافق فيه هذا الاخير على الغاء السخرة واعادة الأراضى التى نص عليها الامتياز الى الحكومة المصرية ، وفي النهاية أمكن الغاء السخرة واسترداد معظم الأراضى لكن بعد أن تقاضت الشركة في نظير ذلك تعويضا من الحكومة المصرية هو الذي مكنها من مواصلة العمل الى آن اتبهى حقر المصرية هو الذي مكنها من مواصلة العمل الى آن اتبهى حقر

ثة) راجع تفاصيل مفاوضات توبار بهذا الخصوص في: G. Douin, Histoire du Rêgne du Khedive Ismail, tomes I et II.

القناة ووصل البحرين المتوسط والأحمر ٠ كما تفاوض نوبار فى عاصمة الدولة العثمانيــة حول توسيع استقلال مصر الذاتى مما أدى فى عام ١٨٦٦ الى تعديل نظام وراثة العرش فى مصر بحيث يكون في أكبر أبناء الوالي الذي حصــل في عام ١٨٦٧ على لقب خديو الذي ميزه عن سائر الولاة العثمانيين وعلى حق عقد المعاهدات مع الدول الأجنبية بشأن التجارة والترانزيت وبوليس الأجانب وحق سن القوافين التي تمس الأوضاع الداخلية لمصر وحق عقد القروض وزيادة الجيش والأسطول ، وبذلك حصل اسماعيل علىحرية فى العمل استغلها لسوء الحظ فى الاقتراض والدخول في علاقات مستقلة مع الدول الأجنبيــة فيما يتعلق بتسوية الديون • وأخسيرا أكد فرمان ١٨٧٣ كل المزايسا التي منحتهسا الدولة العثمانيسة لمصر وحكامهسا منذ عام ١٨٤١ . وقد أعجب الصدر الأعظم العثماني محمد أمين عالى باشا ببراعة نوبار في التفاوض فعرض عليسه أن يعينمه وزيرا للأشغال العامة في استانبول • الا أن اسماعيل رفض هذا العرض كما رفضــه نوبار ذاته بحــكم أن استانبول ليست مصر وأن الحكم المطلق السائد في البلدين يسهل التصدي له في مصر عنه فى الدولة العثمانية وأن تقاليد أسرة نوبار كانت مرتبطة بمصر: «فالانسان لا يتخلى عن بلده كما يتخلى عن زوج "حذية بال •• واذا كان الوالي لا يرحب بي فباسكاني أن أكون في بـــلدى

شخصا عاديا أنعم باستقلالي ولكننى لن أكون على الاطــــلاق موظفا فى الباب العالى » (٢٦) •

وبعد أن ازداد سوء أوضاع مصر المالية وبدا تخبط اسماعيل اخذت علاقاته « بوزير خارجيته » تزداد سوءا يوما بعد يوم ، خصوصا وإن اسماعيل كثيرا ما كان يتصرف في الأمور على هواه بحيث ان نوبار كان يرى أن مناقشته لا تعنى دراسة مسألة ما وايضاحها بل جعل محدثه يشير عليه بعمل ما يسعى هو فى الواقع الى عمله وأن يتخذ القرار الذى يرغب هو فى الواقع في اتخاذه (٢٧) • ففي عام ١٨٧١ أصدر اسماعيل قانونا غريبا أطلق عليه اسم قانون المقابلة نص على اعفاء كل من يدفع ضريبة الأرض لست سنوات مقدما من نصف الضريبة الى الأبد ، وأقبل كثير من المسلاك على دفع المقابلة واضطر بعضهم الى الاستدانة لهذا السبب . وعلى حين أن المقابلة كانت اختيارية في البداية الا أنها لم تلبث أن اصبحت اجبارية وقدرت الأموال التي تم تحصيلها بهذا الشكل بنحو ١٥ مليون جنيه . وقد انتقد نوبار هــذا القانون انتقاده لازدياد الضرائب وقسوة الاجراءات المتبعة في تحصيلها ، كما انتقد السخرة واثقال كاهل الفلاحين بالرسموم والضرائب • وحين فكر اسماعيل في فرض

<sup>(</sup>۲۱) مذکرات نوبار ، می ۴۹۱ ،

<sup>(</sup>۲۷) مذکرات نوبار ، ص ۲۱) ،

رسوم جمركية داخلية على البضائم المنقولة من أقليم الى آخر، بشرط أن يدفعها المصريونوحدهم، أصر نوبار على تطبيقها على الأجانب ، وأمكنه أن يغرض رأيه رغم معارضة القناصل • واستنكر نوبار استحواذ اسماعيل واسرته على ٥٠٠٠ر١٥٠٠ر فدان من مجموع الأراضي الصالحية للزراعة والبالغة ٠٠٠ر٠٠٢رع الى ٠٠٠ر٠٠٤ر٤ فدان ، واقتنع بأن لا .صــلاح لمصر الا اذا تنازل اسماعيل عن هذه الأراضي واكتفى بمخصصات سنوية • كما اعترض على اتجاه الخديو الى فرض الاحتكار على تجارة السودان مما أدى الى اعفائه من الخدمة ( مايو ١٨٧٤ ) وان يكن اسماعيل قد اضطر من جديد الى اعادته الى وزارة الخارجية . ويستنكر نويار فيما سجله عن عامي ١٨٧٤ - ١٨٧٥ القسوة المتبعة فى تحصيل الضرائب مما أرغم الفلاحين على بيع محاصيلهم قبل جنيها في الوقت الذي ازداد فيه الوضع سوءًا • وفي أوائل عام ١٨٧٦ كان ولفرد بلنت في زيارة الى مصر وقد آثاره ما شاهده فيها بعيث قدم لنا الصورة المثيرة التالية (٢٨) : « كان من النادر حينئذ أن ترى شخصا في الحقول وعلى رأسم عمامة أو يرتدى أكثر من قميص على ظهره • بل أن أرتداء العباءة كان مقصوراً على عدد قليل من مشايخ البلد • وأينما ذهبنـــا

<sup>-</sup> Secret History of the English Occupation of (YA)

ملكورا في كتابي مصر والمسألة المصرية ، ص ٢٤ .

تكررت القصة ، وكانت مدن الأقاليم تمتلى، فى ايام الأسواق بالنسسوة اللاتى يبعن الى المرابين اليونانيين ملابسهن وحليهن الفضية وسبب ذلك ضغط جباة الضرائب على القرية وكرابيجهم فى أيديهم » • كما اعترض نوبار على ما انتواه اسماعيل من ارسال حملة لغزو دارفور ، خصوصا وأنه كانت تجول بخاطره أطماع توسعية دفعته الى محاولة غزو العبشة مما عرضه لهزيمتين فادحتين فى الوقت الذى فشلت فيه مساعيه الى السيطرة على زنجسار •

وازاء كل هذا التخبط من جانب الخديو نجد نوبار يبدأ في لعب دور مثير للجدل سأحاول فيما يلى أن أقيمه تقييما موضوعيا مستندا فى ذلك الى دراستى الوثائلية الخاصة بهذه الفترة والتى أوردتها فى كتابى « مصر والمسألة المصرية » الآنف الذكر وبمذكرات نوبار ذاته ، فحين اشتدت آزمة مصر المالية وازداد وضع البلاد الاقتصادى سوءا طلب اسماعيل من بريطانيا أن تعيره أحد موظفيها لترتيب شئونه المالية فى الوقت الذى كان ينوى فيه اعلان افلاسه وهو ما عارضه نوبار والدول التى كان رعاياها دائنين لمصر ، ومن ثم لجوء اسماعيل الى يبع التى كان رعاياها دائنين لمصر ، ومن ثم لجوء اسماعيل الى يبع أسهم مصر فى قناة السويس للحكومة البريطانية ، ثم أرسلت بريطانيا الى مصر بعثة يرأسها ستيفن كيف عضو مجلس العموم بريطانيا وكبير القائمين على شعون المدفوعات وكانت

مهمة هذه البعثة اجراء تحقيق مبدئي يمكن الحكومة البريطانية من أن تقرر هل توافق أم لا توافق على طلب اسماعيل الخاص بتعيين موظف انجليزي مستشارا ماليا للخزانة المصرية . وعارض اسماعيل منذ البداية اجراء التحقيق الذي كانت تهدف اليه الحكومة البريطانية ، كما عارضه نوبار الذي يشير في مذكراته الأفضـــل آلا تأتي الى مصر على الاطـــلاق » • وانتهز نوبار المنافسات الذولية التي أحاطت ببعثة كيف لكي يتوصل الي افشالها ﴿ حقيقة انه كان لا يزال يمنيل الى أن يتعاون العنصر الأوروبي مع المصريين بحيث اقترح على كيف ايفاد انجليزي له من السبعة والكفاءة ما يؤهله لشغل وزارة المالية المصريسة مع توفير الضمانات الكافية لاستدامة نفوده بحكم وضعه ذاته وخوف اسماعيل من استقالته ، وان يكن حتى ذلك الوقت يعارض أي تدخل في شئون مصر أو فرض الرقابة على ادارتها . ورغم ما يشير اليه في مذكراته من أن معارضته للبعثة كانت نابعة عن حبه لمصر فقد توفر لنا من الأدلة ما يشنير الى أنه كان يطمخ بسبب أصله الأرمني مالي أن يعينه الباب العمالي واليا على أرضروم التني كان ثمة مشروع بمنحها استقلالا ذاتيا ووضعما  روسيا وفرنسا فى استانبول فانه كان يطمع فى استخلال نشاطه ضد بعثة كيف للتقرب من كلا السفيرين والباب العالى الذى وفض مساعى السفير الروسى بهذا الخصسوص ، وأن يكن نوبار اكتسب الى جانبه قناصل روسيا والمانيا والنمسا وايطاليا الذين نصحوا اسماعيل بتوخى التعقل وعدم الاستسلام للنفوذ البريطانى وحده ، وهو ما نصحه به الباب العالى والسسفير الروسى فى استانبول .

حينئذ كانت قد ازدادت شكوك اسماعيل في نوبار الذي انتقد سياسته الاقتصادية والسخرة وجباية الضرائب مقدما والانشاق الباهظ على الجيش ، وفي يناير ۱۸۷۹ تم تعيين محمد شريف باشا وزيرا للخارجية بدلا من نوبار الذي احتفظ بوزارة التجارة ، وقدم نوبار استقالته وصرح لقنصل فرنسا المام بأنه بدأ يشعر بفقده لثقة الخديو الذي لم يصخ سمعا لنصائحه وأحاط نفسه بمستشاري سوء لا يحسنون العواقب بأنه كان من وراء ارسال بعثة كيف وبعثة مماثلة أرسلتها فرنسا لمراجة المخططات البريطانية ، وبحب السلطة وادعاء اللبرالية برغم ميله الى الطغيان وطلب منه مبارحة مصر ، الا أن توبار ببين في مذكراته (ص ٤٦٧) أنه كان يسمى الى مقاومة التدخيل في مذكراته (ص ٤٦٧) أنه كان يسمى الى مقاومة التدخيل في مذكراته (ص ٤٦٧) أنه كان يسمى الى مقاومة التدخيل

الأجنبي (٢) • وأنه نصح اسباعيل بأن يبادر الى اقامة مراقبة مصرية تجنبه الرقابة التى كانت الدول توشيك أن تفرضها عليه مما تسبب فى طرده من مصر • وعلى اى حال فقد ازداد التدخل الأجنبي فى شئن مصر فأنشىء صندوق الدين الذى مثلت فيه الدول العظمى ووجه أول ضربة شديدة الى استبداد حاكم مصر، ثم تلا ذلك فرض رقابة انجليزية فرنسية على مالية البلاد • ثما نوبار فقد طفق يتجول فى العواصم الأوروبية شارحا وجهات نظره فى كل من لندن وباريس وبراين ب ولما كانت المسالة الشرقية قد احتدمت فى ذلك الوقت تتيجة لثورة بلفاريا ضيد الحكم العثماني ثم الحرب الروسية ب التركية التى تلت ذلك ، فقد جرى اقتراح بتميينه واليا على بلفاريا التى طرح اقتراح بمنعها استقلالا ذاتيا على نمط الوضع المعمول به فى لبنان ، ولو أن الحرب الروسية حدالى فشل المشروع •

وازاء احتدام الموقف لدولى فى أعقاب تصدى بريطانيا للتوسع لروسى فى البلقان وتهديدها بالحرب ورواج الاشاعات الخاصة بقرب احتلالها لمصر ، فان نوبار بدأ تحركا فى اتجاه المصالح البريطانية ، فمنذ بعثة كيف كان قد اقتنع بأن جسامة

<sup>(</sup>۲۹) سبق أن أشرنا الى أن بوبار كان يجبل نوعا من التدخل الأجنبى الذى من شأنه شبل سلطة الفديو ، وهو ما لم يكن الشحب المصرى يستطيع المنام به في هـده الرحلة .

ديون مصر لا يد أن تفضى الى التدخل الأجنبي • ولو أنه كان شديد الرغبة في مقاومته اذا ما كان في صالح الدائنين وحدهم . ولما كان هــذا التدخل يعرض اســنقلال مصر للخطر ان لم يقض عليه تماما ، فقد رأى وجوب عدم اغفال مصالح الشعب المصرى ـ وخير وسيلة لذلك هي اما الاحتــلال البريطــاني أو فرض الحماية البريطانية على مصر • وفي برلين طوح وجهات نظره هذه على المستشار الألماني أوتوفون بزمارات الذي رحب بها بطبيعة الحمال باعتبارها بديلا لاصطدام بريطانيا بروسيا بسبب البوغازين. • ثم توجه الى لندن لمتابعة هدفه وأن لم يجد آذانا مضغية لدى الدوائر المسئولة ، خصوصا وأن رئيس الوزراء البريطاني اليهودي الأصل بنيامين دزرائيلي لم يكن يجد في احتـــلال بلاده لمصر ضمانا ضـــد الأطماع الروسية ، بل كان يعتبر استانبول ــ لا قناة السويس ــ المفتاح الحقيقي لطريق الهند • ولكن نوبار وجد ترحيبا بالتجاهاته من جانب العسكريين الأنجليز ومن وزارات الخارجية والهند والخزانة ، كما اتصل بالصنحفي ادوارد دايسي رئيس تحرير مجلة القرن التاسع عشر "The Nineteenth Cutury and aftery مذكراته (٣) ( التي يخطيء ابنه بوغوص في تذبيله للكتـــاب

الذى نحن بصدده حين يذكر أن والده بدأ كتابتها بعد تقاعده ) وكشف له حقيقة أوضاع مصر • ونشر دايسى مقالات عرض فيها وجهات نظره بالشكل الذى يعد الرأى العام البريطاني ان لم يكن لاحتلال مصر فلفرض الحماية البريطانية عليها •

ثم اتنقل نوبار الى باريس حيث قام باتصالات وثيقة بكل من يهمهم أمر ديون مصر وعرض عليهم رآيه الخاص بعدم اجراء تخفيض فى فائدة الديون قبل اتخاذ الخطوات اللازمة لتقدير قيمتها ومدى مقدرة مصر على الدفع واجراء تحقيق حول الإسباب التي أدت الى ارتباك اصماعيل المسالى •

ثم تشكلت لجنة التحقيق العليا التى تألفت من مندوب المجليزى وآخر فرنسى بالاضافة الى أعضاء لجنة صندوق الدين و وكان الهدف الضمنى من التحقيق هو محاكمة الخدبو والتآكد من قدرة مصر على الاستمرار قى دفع نسبة الأرباح السارية على الديون واستبدالها بنسبة آخرى اذا ما عجزت عن الدوع و ومن الطبيعى أن يعترض اسماعيل على نشاط اللجنة التى أبدت ازاءه روح التشفى وتتبع شئونه الشخصية فشكا الى قنصل بريطانيا العام من أن التحريات التى تقوم بها عنه وعن أصول الأراضى التى المنتحوذ عليها تتضمن التشميكيك في نزاهته و وبدو أن مساعى نوبار فى لندن وبارس قد مهدت لتعمينه رئيسا للوزراء خطوصا واله كان يقل التضح الحكومين

الفرنسية والبريطانية فيما يتعلق بالتحقيق ، وصرح لدايسى فيما بعد بأن وزيرى خارجية الدولتين نصحاء ، بعد أن يعود الى القاهرة ، ببذل كل جهده لتقليص مساحة أراضى الخديو الى أقصى خد ولم يكن نوبار بحاجة الى مثل هذه النصيحة — اذ اله كان يجزم بأن ضياع الأسرة الحاكمة فى مصر كانت المصدر الأساس نشقاه البلاد وبأن اعادتها الى الدولة كانت حجر الأساس بالنسسة الى أى امسلاح مرتقب و وحين تم الاتصال به لتبين شروطه بخصوص تشكيل الوزارة طلب أن يتلقى دعوة من اسماعيل الذى صرح بأن هدفه من استدعاء نوبار هو وضع حد للشسكوك الشائمة عن تآمره و وقبل أن يعود الى مصر حاول أن يحصل على ضمائات من براين ولندن وباريس وصرح ندايسي بأنه حصل من وزير الخارجية البريطانية وصرح ندايسي بأنه حصل من وزير الخارجية البريطانية ( روبرت ماركيز سولسبرى ) على ضمان ضد احتمال اقالة وزارته فحواه أنه سيتلقى المسافدة الفعالة من جانب الحكومة البريطانية والريطانية و

وفى ١٥ أغسطس ١٨٧٨ عاد نوبار الى مصر بعد أن أصدرت لمجنة التحقيق تقريرها المبدئي الذي أوصى بتنازل المخديو عن الحكم المطلق وتسليم أراضيه للدولة وقبوله مرتبا سنويا واجراء بعض الاصلاحات في الادارة المالية • ووافق نوبار على تقرير المجنة وصرح بأنه سيقوم ، بعد تلقى الدعوة لتاليف الوزارة ،

باختيار شخص المجليزى وزيرا للمالية بشرط أن يكون فى يده مطلق السلطة فى المزل والتميين ، كما سيختار شخصا فرنسيا ليتولى منصبا أقل أهمية ويطين أحسن العناصر المصرية فى بقية المناصب بحيث يفرض سلطة الوزارة على المغديو ، ثم حاول أن يقنع اسماعيل بقبول تقرير اللجنة بعذافيده ، ولما لم يصب فى مسعاه هذا نجاحا هدد بالرحيل عن مصر وترك المسالة اسماعيل لضغوط شديدة لكى يتنازل عن أراضيه ويتخلى عن أيدى الدول الكبرى فيما لو لم يتم قبول التقرير ، وتعرض الحكم المطلق (٣) ، وأخيرا استسلم مرغما وقبل تقرير لجنة التحقيق دون ابداء أى تحفظ وكلف نوبار بتاليف الوزارة مقرا في خطابه اليه بهذا الصدد مبدأ المسئولية الوزارية بمعنى أن يوكم عن طريق مجلس وزرائه وبالاشتراك معه ، وتقرر تمين يوكم عن طريق مجلس وزرائه وبالاشتراك معه ، وتقرر تمين وزيرا للاشغال العامة ،

ولكن اسماعيل ، الذي لم يقبل وزارة نوبار ــ التي عرفت باسم الوزارة الأوروبية ــ الا مرغما ظل يتلمس الفرص التي قد تتيح له استرداد سلطته المطلقــة ، خصــوصا وآنه كان من المعروف عنه آنه لا يحترم وعوده ، ولأســباب عدة كان النظام

 <sup>(</sup>۱۲) أشار توبار في مذكراته ( ص ۲۷۷ ) إلى أن سبلطة أسماعيل كالت تفوق سلطة لاما التبت .

· الجديد مقضيا عليه بالفشل م فتوفسير الانسجام بين مختلف العناصر التي تضمها الحسكومة والثوفيق بين وجهسات النظر المتضاربة والمصالح المتعارضة وشغاء الأمعقباد المتنافرة ودفسع الوزارة الى العمل بروخ الجماعة ــ كل هـــذا كان يتطلب مهارة النجرية تمارس في بلد اسلامي كان من اللازم أن يمثل العنصر الوطني في الوزارة مشاعر السكان ووجهــات نظرهم وميولهم الدينية تمثيلا كافيا • ولمساكانت مصر حتى ذلك الوقت لم تعرف سمموى نظام الحكم المطلق كان من الواجب أن يتعاون زئيس الدولة مع الوزارة حتى يتسنى لها الاضطلاع بالسلطة • الا أن توبار وولسون لم يحاولا اخفاء مقتهما الشخصي لاسماعيل، بل يذلا كل ما في وسعيما لتجريده من كل سلطة وتحويله المي مجرد حاكم اسمى ، في الوقت الذي كان فيه اسماعيل. لايزال يتمتع بنفوذ قوى على الموظفين الوطنيين وكان بيده نجساح النظام الجديد أو فشله ، خصوصا وأن توبار لم يعظ بعطف الشميعب أو بثقته ( بعكس ما ردده في أكثر من موضيع في مذكراته ) : فقد كان المصريون يعتبرونه أأداة الفرض الحماية البريطانية على البلاد: هــذا بالإضافة الني كوله أرمنيا ذميا ، كانت طبقة الموظفين المصريين تجزم بأنه أثرى على حساب المصريين باعتباره عميلا للراسمالبين الأوروبيين وكمسا اعتبره

الفلاحون الروح المحركة لانشاء المحاكم المختلطة التي أسلمتهم لشراهة المرابين اليونافيين ، وعلى حين أن نوبار لم يتقن اللفة العربيسة كان الوزيران الأجنبيان يجهسلان لغة البسلاد وعاداتها وتقاليدها مما أدى الى صعوبة فرض سلطة الوزارة على المرءوسين وجعلهم ينفذون خططها + لهذا كله أثارت الوزارة سخطا واسع النطاق استغله اسماعيل في الأخذ بثاره في أقرب وقت ، لهذا اتتهز فرمسة المظاهرة التي قام بها الضباط المسرحون الذين لم يقبضوا رواتبهم طوال عشرين شهرا واهانوا خلالها ولسون وتوبار اللذين تصدادف مرورهما على كوبري قصر النيل وطالب باستقالة وزارة نوبار الذي اتهمه بسلب سلطته وضعضعة مركزه • وحزين سئل نوبار عما اذا كان بامكانه المحاقظة على الأمن العام أجاب بالنفي وقدم استقالته • وبرغم أن بريطانبا وفرنسا حاولتا احتفاظ نوبار بمنصب وزارى دون أن يتوثى رئاسة مجلس الوزراء ، الا أن استماعيل رفض اضطلاعه بأية مستولية وزارية وطلب منه أن يُفادر مصر ، فتوجه الى أوروبا حيث تابع اتصالاته بالدوائر الانجليزية والفرنسية التي بدأت تفكر جديا في خلع استماعيل ولو استلزم الأمر أرسال حملة عسسكربة الى مصر لارغامه على الرضوخ لرغبات الدولتاين الغربيتين ، ويذكر نوبار أنه هو الذي عرض على سنين بريطانيا في باريش ــ لورد ليونز ــ أن يقنع ذولته بحث اسماعيل على التنازل عن العرش بدلا من أن تتصل الدولتان بالباب العالى لتطلبا منه خلع اسماعيل . وأخيرا اتفقت الحكومتان الغربيتان على نصح اسماعيل بالتنازل عن العرش لابنه توهيق على أن بخصص له راتب سنوی اذا ما وافق علی اقتراحهما ، واشترطتا أن يكون مفهوما أنهما ستضطران الى الاتصال بالسلطان مباشرة للعمل على خلعه ، وفي هـــذه الحالة لن يحصــل على الراتب السنوى أو يكون فى مقدورة ضمان المحافظة على النظام القائم فرمانا ينص على خلع اسماعيل خشية أذ، تخلعه فرنســـا وبريطانيا وتوفرا بذلك سابقة تتبيح لهما خلع أى وال عثمان لا يتمشى مع رغباتهمًا • ثم أصرت فرنسا وبريطانيا على أن يبارح اسماعيل مصر فغادرها في أواخر يونية ١٨٧٩ • وتأهب نوبار للمودة الي مصر واسترجاع سلطته ، وأذاع من منفاه أنه سيتولى رئاســة الوزارة • ولكن الوالي الجديد ــ محمَّد توفيق بن اسماعيل ــ أبدى رغبته فى أن يبقى نوبار خارج مصر • ولمــا كان قنصل فرنسا العام في مصر حينتذ ( تريكو ) يشك في نوبار ويعتبره أداة في يد بريطانيا والمانيا لوضع مصر تحت الحماية البريطانية، فانه ساند مساعي توفيق • ويعزو نوبار من جانبه موقف تريكو منه الى أن كان قد طلب منه مبلغا من المال لم يمكنه تدييره . ولا يستمكمل نوبار مذكراته الى ما بعد خلع اسماعيل ، برغم توليه رئاسة الوزارة فى عهد توفيق ( ١٨٨٤ – ١٨٨٨.) وفى عهد خلفه عباس الثاني ( ١٨٩٤ – ١٨٩٩) ولا يقدم المدلك تفسيرا معقولا .

## 400

ويذيل نوبار مذكراته بملحوظات يذكر فيها آنه كتبها فمه الفترة المبتدة ما بين نوفمبر ١٨٩٠ ومايو ١٨٩٤ بهدف تقديمها نجده يفسر مواقفه التي صادفنا جوانب منهافي السياق السابق ،' فيؤكد أيمانه بالمدالة التي يلمح الى أنها قد تحققت في نهايسة الأمر في الوقت الذي أنهى فيه مذكراته وكان لايزال فبه مشغولا بمستقبل مصر الذي لاحظ أنه يسير صوب الاستقلال والاعتماد على النفس والمحافظة على مصالح الآخرين الذين يهتمون بمصر بحكم موقعها الجغراق وبحكم أن وضعها يرتبط ارتباطأ وثبقا بما عرف باسم « المسألة الشرقية » • ورغم أنه لم يستطم التنبؤ يما مسكون عليه هـ ذا الستقيل الا أنه أبدى تفاؤلا مبعشه الماله بالشعب المصرى الذَّي .. في رأيه .. يشبه الطفل في مرحه ولطفه ، ولو أنه في بعض الأحيان يشبه الطفل أيضاً حين يتعمد الازعاج • فرغم خمسوع هــذا الشعب عبر القرون للغزاة والطفاة الذين استفلوه والساءوا أليه الا أنهم لم يؤثروا فيه ولم يسبروا أعماقه التي صمدت للأحداث ولم تتزحزم • وطائسا تحققت العدالة لهذا الشعب الذي اطرح العبودية ، فان المستقبل کما رآه نوبار ـ کان پېشر بامال کبار . والغریب ان مفهوم المدالة هـ ذا لم يتحقق الا فى ظل الاستعمار البريطاني الذي رأينا أن نوبار لم يتورع عن التمهيد له باعتباره وسيلة للضرب على أيدى الحكام من أسرة مجمد على على الذين لم يقيموا وزنا للقيم الانسانية واعتبروا الشعب المصرى ــ كما اعتبره الحكام الأجانب الآخرون ــ أداة للاثراء وتحقيق الأطماع • وتقييمنا لدور نوبار في هــذا المضمار يختلف باختــلاف نظرتنــا الى الأشخاص والأشنياء والقيم • فنحن ننفر من السيطرة الخارجية وتؤمن بالاستقلال وتقرير المصير ، ولكنا لا نتردد فى أن نجزم بَانُ أُوضَـــاع الشعبُ المصرى بعد عام ١٨٨٢ كانت أحسن حالًا مما كانت عليه تحت حكم كل من محمد على وعباس وسمعيد واسماعيل • وقد يقول قائل ان نوبار من الأثنخاص الذين يطلق عليهم عادة اسم « أعوالُ الاستعمار » ، ولكننا لا يَنكننا أن تغمط الرجل حقة ، فقد لعب دوراً ــ أيّا كان حكمنا علمه فى زعزعة الحكم المطلق الذي عرفته مصر منذ أقدم العضور •

## -

وقبل أن تنهى عرضنا هــــذا لابد أن نشير الى الملحوظات" التنى سطرها بوهرس بن توبار في عام ١٩٣٣ - فهو يشسير الى المزاخل التي مر بها اعداد مذاكرات أبيه التي لا فكتمل ضورتها الا بقراءة الرسائل التي يعث بها نوبار الى زوجته ، وهي رسائل يبلغ عددها أكثر من ١٥٠٠ رسالة تتضمن شرحا الأفكاره وأعماله ومشاهداته وللأحداث التي شارك فيها ، وفي هده الرسائل يشرح نوبار الأسباب التي جملته لايستكمل مذكراته ، اذ ضمفت حماسته منذ أن فقدت مصر استقلالها في أعقاب خلع الخديو اسماعيل ، وبدا له أن تاريخها قد أصبح أقل اثاره عنا كان عليه من قبل ، وذلك رغم اشتراكه في الحياة العامة وكونه من العاملين على الغاء السخرة في عام ١٨٩٠ ، فهل مرجع هذا أن نفط الحياة في مصر في ظل الاحتلال البريطاني كان مخالفا للماكن عليه من قبل ، وأن هدذا الاحتلال قد حجم دور نوبار كما حجم أدوار آخرين ممن لعبوا دورهم على ساحة السياسة المصرية ؟ ه

لقد حث بعض الأصدقاء نوبار على نشر هذه المذكرات ، بل لقد بدأ صديقه احوارد دايسي ترجمتها الى اللغة الانجليزية ، ولكنه لم يوافق على النشر مكتفيا بأن آبدي لزوجته رغبته في نشر ما يتعلق منها بعصر محمد على وعباس وسعيد مقدرا صعوبة نشر ما يتعلق بعصر اسماعيل الذي عمل نوبار مع ابنه توفيق وحفيده عباس ، وبعد وفاة نوبار في عام ١٨٩٩ ظلت هـذه الصعوبة قائمة بحكم أن أبناء واجفاد اسماعيل ظلوا يتعاقبون على حكم البلاد ، وأن الملكين فؤاد وفاروق اعترضا على نشرها،

وقد تجددت رغبة أسرة نوبار فى نشرها بعد سقوط النظسام الملكى فى مصر عام ١٩٥٢ ، ولو أنهم رأوا أن الوقت غمير مناسب للانضمام الى جوقة نقاد « المهد البائد » ، وان سمحوا لبعض الباحثين بالاطلاع عليها ، وأخيرا قام مريت بطرس غالى على نشرها فى عام ١٩٨٣ دون أن يضيف اليها أو يحذف منها شمينا ،

اما رسائل نوبار الى زوجته التى كان يفترق عنها كثيرا تتيجة للمهام التى كان يقوم بها الى الخارج والأن صحتها لم تكن تساعدها على البقاء قى مصر خلال فصل الصيف (٢٦) فانها لم تنشر بعد وقد بذل بوغوص نوبار جهدا كبيرا فى قراءة هذه الرسائل ونقل منها الصفحات التى تهم الأسرة أو تتصل بالأحداث السياسية التى اشترك فيها والده و كان وجه الصعوبة فيما قام به بوغوص أن نوبسار لم يسمجل التواريخ الا نادرا ولس بوغوص أن والده لم يستعمل رسائله الى زوجت فى كتابة مذكراته ، فحاول اضافتها اليها ولو آنه وجد آن حجم الرسائل يبلغ ضعف حجم المذكرات ، مما جعله يؤجل نشرها ، ثم بحث من مقرخ متخصص فى تاريخ المسألة الشرقية ممن تعرفوا على من مؤرخ متخصص فى تاريخ المسألة الشرقية ممن تعرفوا على والده لكى يغهد اليه بكتابة سميرته ، ووقع اختياره على

<sup>(</sup>۲۲) تفطى هذه المراسلات الفترة المتدة بين زواجهما في عام ١٨٥٠ وبين ١٨٩٥ الذى تقاهد فيه نوبار .

سبر فالنتين شيرول المدير السياسي السابق لجريدة التايمز, اللندنية الذي كان قد زار مصر مرارا وتوثقت علاقتــه بنوبار الذي أطلعه على انجازاته ومفاوضاته والمعارك التي خاضها من أجل الاصلاح القضائي و وبدأ شيرول العمل وأودع المذكرات معلومات لم تنشر وضعها بوغوص تحت تصرفه ، ولكن يبدو أنه لم يتابع جهده في هذا المضمار و

ويشير بوغوص الى أن مذكرات والده الذى تجنب أذ يجعل منها سيرة ذاتية ، مكتفيا بشرح الأحداث التى شارك فيها والتعليق عليها ، لا تخلو من أوجه نقص ، خصوصا وأن والده سطرها من الذاكرة دون أن يضمنها آية تواريخ أو يراعى الترتيب الزمنى للأحداث فى سياقها الصحيح ، خصوصا وأن واللده لم يحتفظ بيوميات أو بنسخ من الوثائق التى كتبها ، مما جعله يستغين فى تحقيق المذكرات بعراسلات والده الخاصة وبما خلفه من أوراق تضم أعدادا كبيرة من الوثائق (خطابات رسمية وخاصة ، برقيات ، ملاحظات ، ومفكرات ) ذات الأهمية التاريخية ، ولم يكن هدف بوغوص كتابة سيرة والده حتى التاريخية ، ولم يكن هدف بوغوص كتابة سيرة والده حتى لا يتهم بالتحيز ، وهو يسجل أن مهمته لم تتعد جمع المذكرات وترتيبها ، وأن العمل الذي اضطلع به لن يكتمل الأ اذا وضعت تصرفه المذكرات الموجودة فى مصر ، وهذه المهمة متروكة تحت تصرفه المذكرات الموجودة فى مصر ، وهذه المهمة متروكة

لباحث يتصدى نتقويم دور نويار تقويما متكاملا خصوصا وأن بالإمكان الآن الاطسلاع على الوثائق الأصليسة المودعة بدور المحفوظات الفرنسية والبريطانيسة ، وحبذا لو أمكن استكمال ترتبب الأرشيفات المصرية (۱۲) والتركية حتى تقوم بدورها في دعم البحث التاريخي ) (۱۲) ٠



<sup>(</sup>٣٣) اطلعت .. في سيعلات الرئائق المدرية .. على مجبوعة من الوئائق المدرية ... على مجبوعة من الوئائق الفرنسية التي تقدم السماحيل في ملفات تحت عنوان Mayyres/Politiques كما اطلعت على بعض مكاباته التركيبة المنزجمية المربية المودعة في ملفات دفائر المهية .. دفائر عابدين .. ملخصسات محافظ المهية .

<sup>(</sup>۱۳۱) مستدر كتباب باللفية القرنسية في عام ۱۸۸۰ يقيم دور لوبار ومنرانه ۱۳۶۷ن: Alexandre Holynsid, Nubar pacha devant l'Histoire.

ولم تعبين طبيعة العلاقسة بين توداد ودين هولينسكي االلي حمد الي قاع عن مواقف تودار السياسية ،

20 th of July 1830.

Gegan on Loai the Kola . in
Plymouth Sound.

I dried up my thing and followed them, but we had not gone ten pases when an alderly Amonly , with carak " keunk" and gettow' + Expens came up to my good conductor, buches Sum, severe, made much now and took me away from him him the renewalens reseemen took me that work's and gave me meat to it and atternow . Bed ma single the water to Galale up to my house. I found The whole to mile in the greatest alarm thunking I had Lasen look my father some ade hand the on my back and administered to the toler of my feel some boyen hearly Hora. with the marker In the hest of my werlls chow it was in The summer of 1816 that my family removed siven By tofin to Senapia . a set allful place in the country word few mules from the thetry it large peniled each fitted up with enchance and covered in with an arming was influence to hold all the howevering "he masher are drawn by two over wha slow pace. I he driven on look and I on the hearts by preading them with a sharp prented What. He evered bread vegetables and made dishes in the rack to regale onesshed in the every by father sal outside smaking This jupil while my mother auch and sister muffled up in veril and love garma peopled through the summer to ever the son

and im at the paperingles By and by-

My Alty with the Able did not live but Printle ft , for hendes toaching me how to write the European letters. I haint to count up to 2 Houseand, and to road started in an These Sectioner when understanding their many About this time end to accompany my father to Tambel to a certain little room where " he sal surrounded with judgers welling wich and ly hing legely . " and not like " " waterand of detting in one corner with only begs under one and to listen to in hunred inabbling in Franc characters. but managed to slip away from his formace and lay Imm near a parosp in an open place to 100 the Tralgest profit. One day I wentired to follow a company of them pratoner beads - faither than the me Combedge of the Espagniphy of the Town cattended . and on vacan I read a find out my Jakori still or cell. Thegan to be puphlined 20th Farming about the thirty narrow streets came to a place where a poor man construng up by the north it examine of people more thinking round it reading a large table which was attached to the wastakis becart to I waner had seen such a sight before, I began to any about sheething Band air laying wiftenph wis Highdish dya is my father " ragged young inder sense up to one gar one of my father and of I came to have horse that night to eat downed he would take me to Bly Aglow in the morning

then the will will love " march PM a granty are prime of broken Lociais, Bary fraction to anywelf to go and ever the Limit book your at growing The steamer link on Jour in 3 hours, and of again to the Brownelson in 6. March 22 ? Write to my Mother in Contan. Emople, in Station. Hout a pager This written on Steam Navigation to Not Krugge in Alexandria. Worth a part in se homing with or Bello Not Johnston to gat the France I Egypt alasted am Hern Seam of the Royal Armilia Levely . There was a name of the Mind 23. West to the Minimula Roughow tellige for a way of the asyclations. Maint 24th Erich Hr Chan of maner and in Glagor the one Dunk whitey, so ver late Bearing 16 2400 got Smily bounds . 1700 Mountain

The Tragle , left Glagon & left the own with me . April 16 Graning the west at Out Bundand 1 1 200 fresh higher, in benel, then the alyde. spil 16 th. Rollian the following words to the University Laborary . . Resitte Francistions, 12 vols. · Hausher ar Mamoin . Is out. · Hurphy on Warring Bunkon on Weaving Callies printer, aprilant Sculler , attack . Walker; Philosophy Edyston Lighthouse. Kintory of the northern Lighthoward. Walle hote , Karling of trobland . 2 wol. & West Chemical Disting. Great: N' " Lead rick to glangers. 1830. . . Tuesday 2 of March. Orived Nor Thompson mining Will. He said " Come as often in you please , but to and remain long . my on time, because your process on 11 twent the alterboung any people, particularly the females from their world, and

w. Shimly be I bellowed their ist with going above liverating them highly anything on a country like legged taken his rough ternesseen and general agreemblers with the for the cutable observed of good was freeled through the makers of our th and the withfinal branches of that rices. I was on such nich to ambert on the thick makes of my returns have common and by the that right - willen. to my good whitesom I was before 1 miles in water to me hall of men A. I Browned you in which I found supple course to call an and the small of my . the day in South Sopage 90

What were my Seconations in Bondo.

Fall wheat we would be perfect suggest in the thong of objection of the described and thereing plants of divine nat Inside to Ersiner thingrape. In the country deposed the thicky some and the the now reasonably as to the mainear of fortifical boald works and rether hear also of the public. ert afterled subjects analogous in homogrees, I my present disher; the marine of represent I the Words to new the projects of the works - Blooking the describer of the Soul pale, Mucas . Bened , and pairs . after sugressed mis you had of a see being to record to incommon a the get at war if the to me for wall wall . water There related thought to hard week property and it was a me or for place friends and and one of 30 and letter at marghing to . in him is Markey you the agentiof other of received the same south amount of the the first has well " the hand the same to the first the source of words to strong

Then a word to be never to though the is some .
Some in my total to several and Malan things upon the for the several and Malan things upon the forest to the several to the province to the things of the the province to the things of the the several to the things of the the several to the things of the total and the several to the province to the pr

Mound in Lorden from Granger Marick 30 th AP20. I some housely proceeded to days Bugget was day thouse water I may my good quarties other so time an advance which my wind new part of which was to a ternance who had kindly apriled me in an perior out white and who have was a some the surprised and the set it has the and from The Brown to me the brown in a few in the while weather Down is a state a well while then broke down subwell weetly me with broken & boom is Beamaha and souls in the opposite selecting of londer I change a new a comment product for many A Server 1 1 diver month Steller Some the British is but in the the

What I learns in glasgow: -My stay in Glasgow was not so long as I could have wished . I had no difficulty of seeing the wound , which during on the workings I was krases many mad make " The eye of the mailers, The believe Koy ion years the artigue dones . In many the latter period of my system in Glasgow? - visited the some more preparately than There warrets was at fresh puzzione to ma. and it was not untill I had promused home on the subject that I route andownshis them I was never astroned to make stilled and for flar of the meaner haven a higheren of me I down not take trother - hack reines which are very meaning to write four my Binesterns after of fift them. In The man. time I his work neglect the opportunities I desire the process of spermens - every met making the budgest much remuse! " I ma . The counteredown of my dikeral and to proceed of the whole with any on magninerous. conformation of a simulation is retting a the place in a factor commended in a since the conthe more through a per property may all the dela I want to say and commendated in the Same to me is made a some to the set the winds of

fully gratified my amounts . Heat and direct land Banger to about where " normal on Friday 20 th of Rosel 1928. Servery the Mile w four days I doll on Harvistan . gring him that relanded one his Franking a Word for making them by mes To their secret work sounds between to have which the selected one to should a sometime the day are weather some commence to Kester where we visited a light times on the care prevente of anotherway as the one minuted mean Privatell or Fredericher But in smitter. Then being I light him - one light the house saily in the accessing one proceedy to Algerth - and on the sind, algorial at some Elaca work swing . That the resource of similares who learnered i Paper Mile. 184 . Willow & Copper Mills . and aniether . destablishing on to a himseline . The hora a sanger water, being both this and brail words. In these this words the higher had me Affective to got marcin on account of the Medicinas of their propriators . Tuck upon hours influenced that I was morely and explan Tollow grover . they somewis all . Years ...

file problem my minute while mich Minest lim Kanger Windows where " acrowed in Whiter 28 th of Bank 1828. Firmy the Mile office May I would in. Herracken . my hind hast should me that Frankling as Horte for minding them forgened The had done in he was derived to have which he advance min to describe accoming he by are made an examine to where we outed a Made throw so the some preciously of another from a the one whended ween Pornaball of Handwicker Bak 1. Ladra . Then day of light have my lift . " the house surf in the program and family, to the first and may Blace worth seeing . I had the pleasure of rindres At lineant ; Agen hillen ile: Willow's logger shall a wind another debablisher en to minister hechour wanger wells, during hold land and bright works. In these the wind the highy has some Efforther to get me in in account of the Malousias of their fragmentons - and apro-Ging informed that I'm morely an gys han Ston grower . They is more all المستنفطين يريبهم حبابون

. 70 .

- stand in the Aronahor for cargo to program in my forced dispartine and to lake laine of my friends. I was very a neume to me the prest information heady man the theorie thanks Lefore I difthe Empland; and the present oppor-Sund doing the best which will righter I personal person from about to be admin the moreon of the reserve . and having trouvered a letter of out Backer to 10 2 Right the Engerious of Alemaiden sea. Theretor . I want all him Suggest to house Amospherio a few house and some Millers Books which I that with mo. the Thursday 18 th of March 1818. Till the who per good and themselved to Charles . and look a in myanes from that place to the owings of Rawardon lineling, miked declared and white in In the left bank of the live . There I enjoyed the Kospelalits of sor Realy and remained with home "little the 23 the when " left in at Robert in a court, some to Comoney. "commoned on Survey twenty ; our hours to " responsion Audge waters to the town to the is Parined in Pergon and accounts The header which I did no they down to the " made demand wants to bee suggest them

Statemary 20# 1820. Stilled Michen ----· March 1th Went to Parley and " remained there will Simbo 2 . Land 300 Rollins Brown Bucky The afternoon - saw in English for Para riched spice Tand Bothedwoods Elethilister cherch . st 1828 Repaired to Buly -S. 18 -Side in sectional in and sharing of early place and 1 th From haidle s

y 13 th 1928. Bankis has lame a the minalism of some Charity Bhallogs & le .

oy 14th Personaled say letter of entradration the Houldworth - and saw this framens will a

17 & Warte to the Speak ... At Realow ...

What to the Richarders of and weath to

Want to Rolly to sea Transville

Ranger parent of Walnut to the Haplith, age and Frederica Spend to thestay - It will be to the some - the said some - the said to the said

Light Glasgery for Dendunghon Rolling to Glasger rack in the owners at the Summe Modeling - afterward when we have to the country to crew

Bulle for paining lotter.

Poils : 40 Buchaman's Abachers . Pasting Frotes and also his Alaski Long Mading Frotes.

- 10 7. Beings letter of intiduction - and that excellent over thoused me his think for allie forming. Thomasy 27 - Wheat to Packy seven miles from glasgow to sea some Manei Ble. Returned to glang har in the successing Sanday 300 Wrote to Mar Hickory " Stream 4 th Broke to Br Burns . Your . 4 . Thomson's Mills again. Went to The st work to her bramak. Tobog to a companied the return to a Glad tonia & Polonies and Glasgow Tabel to Work to the William Georett. . We Laurie showing one the Farmens for madeing common on Hank bottles belonging & his Diam and which may the Barmicken Brig. The gt Bank to the Scame agains to me the country have out Feb. 12 F Blled upon that Thomason. he took one once the thirty again and without to so to legio the offered when then be W Henry actory of writed.

there a good founday for ison and queto to , the Survey long headed by King Social Mytrolatic machine homes by ~ Eigena . They plane the heaveach od by machinery . and their apparatus dang heeds is the vier bown of meetings. who power looms and was machinery - The Colle Menofacture marti Gradom alicale) near the Bokorti · switching whatlish ment, for making . Briles, water poper, ing tinkes what sound. Be undered in his Killen Single no Ear 12000 different worden pattisno where thered . We somety was very any Filh with a well south roof , amounted remerful assess in come directions an " dranad can never new gode which save sound into the desir in and and approprie with our of relieves a supple " Burdes a Galille's Good Mond west on somenes male commercianderio escaral entre Sanger of Such land hope, Lange of when it is in the will be with the say - more were street and to great people . and no well and free breef to the " . And war one . " suggest to them ." me that the regulation and light subplished the way with a second property to

The Portable Gas Michel, schooled oven Manchedia were large huiltings where you from rial and vil was generaled, purified and untlead of lines wand must the line in pipes, as usual, were compressed into iron against of newer styles. The matter aspell with contain gas defficient for two days commentation. The Engines for promon, And compressions they ger was a median price + Kentyn's yenen's and a work which enthaled y read Longer on the Branch & extendenting to The higher affected from this conducance was withing ogentill and charp . I found it my wheatige to our it mideal of coasted. I when are thous roundaring their softener, are doily 41 D asymmetres to the sight of haides the conforms which are walred bearing the decomposition 314 Sugarmour to the Health, unleaves in mer " 100 - the only partue is a dotte Lukeyon. which bear no lody injury. This you alsolp no bus to small - so is the wind of a canthe - Footh of which , if we were latter and to sellow the ou to sough soil send the now , would be · Berginamin · Hafe Hebert's Thanker Guckey is detroted to thosely Need, and is of its land the will helather went on the nochested There become new commences and there can applied the word year and and charp week

Sto contake Sergman led amore mer broke famole Here mupon was over illightful but not a describer a de Mener & Soline to Salla, 1. " Helliam Bood . I was and and the Santhan grown accorde to whom I don't not year? Francisco E applicable sound of the section of in the their insortings. I had the pleasure of livered the going to now the descriptions " rising where the Section was harrown a estation - President, its piece regrand of tione in passing information, with our scand sogiet , and their to describe to Entaile the interior of my illustrates France is I could have wished to have convenienced life obstructions at the heads T'the Graners who were all on hereity malous of strangery aspecially of no series than soon come to beion that and appeal in coming to transfer was white and many "to gave or much information as popular on the lotton "hammfrakere with the way crew of of introduces on to Egipt their interne had indicated amongs them were and sure of to matify and receiving many care , as compagner, not to present me with the slightest apportunity of deding a on isoportant & valuable thinks

During the levelor words . hory rich 110 h I had descrip Through son many growing by was would to inarian But James never whee speed with moralfic There may warred for enough put at we desente - that has Township may attoured I have now cheest I should have forward more Time loft wid and the in may hand there, 450 the own debeloodin and to growt men in contraction, national to supply the we there is the daily of the I couch and Hely Enguages for which I procured masters to 2 count me and to a fresh me in . I wanted to to aread the witten believe on themsely A my Buthe bearing on Mechaniche & Satisai Philosophy delivered in the Mochen, inclution, to the tall instruction in Geology and to 30 telland's Soulines on Graningy . Take alterated to the decine and influencements made in the top let 200 Topermana. c. 12 incholor had a salect behave of alan some on the that I knowned, which he know description on to take to my house for my are and my friend list William Garnett End me some assumes of trees incressioned Fand, by richer all I and on the willer. Manufecturin and design as much as the prenners generally or liberality aris is allow to I spend my this for transferder in aguada

and momno a the higher in their nather and in hegan to read and bandale Bound Immonied to Great Green Gramman

In the locall the Harris rade considerable progress on water proces the water of that landing was attempted remodence from the free was commenced and them yearneds, takeness kand. There years to house a transmit continue to the free to the formation of the form

in the little case the source of ship was the same as the source only the involve source only the involve season legal and the involve the same to the source of the source of the same than the same

difficult of the fresh Salan an time were fuct the hands of the staderate. The shirts on the States and the states are the sta

lifter going through these seven couples wruch high self demand long rears. The Modern death and the March Start of March a with within fresh . Such walking also magnessates will be he as a such a best of the magnessates will be he as a such to this

The instrument of Halman Pricingle Themselved and gloding in one languist in a civil repaired from the reach and made a commoded with them the term owing their account only tought to one year only tought to one is missed to them another rate may hand a reaching of the testings of me and one or any time of the testings of me and one ored any thing to the testings of me and one ored any things

no saile in in their education was prechapted were adapted to prepare young man to endou the church than the busy would . The , south enement for their feely and completions are equive rand of the sooned "They reach their jungiche row they proper classe wayne demonded god and this loop whom as a system highly become " wouther were use sireally provided within Fortunes, but were unparameter to memor are to make their was through the word. "He other of the Abad languages, burry the duties of religions, and the commissionsti Affich of their system of who rates the second trid in even heave to propore the worthdand wound to dough thinky and to Accusion who to deep reducations: to that A hornor leaving commend throughouse was under for any inefect and roding inwesters Red came and departed to sules ente the parkenier under needland to them. Alle progress were develod into some chakes the Mr. Heart Buffer the same removed with content, then they want there deplated -Some Here atters and land toward with the mountained the state of sugarance " the word take " intimed the dake bld . was degan to contine their with and the amountained the Burnet frames. in the the third it spile is shall a provide of frography make the hopen reasons of death with in

To start a day or Preston and Been look a Post than to carry not to Commonth. where we reserved a day herose the lovenstien of the Magarite George IV In such an occasion the private regaled the neighbourne country people with had and prince putting theily of bear was porter them to Buch I Brogery's health in Uples recommended one to the care of the famile. to Buyes look have of me. I was never lend in him to lie he me up to this college the whole was from worken. I smuch not forget to montion that whilehal Renton, we would a to Timphon who had Correlled in Egypt stations to Briggs commelled in that country and had recounted many attentions from him . In which to happed he would show be the land attention do , was our holy days. Stony heart lilege is a large bindling with enlanences lands attached to it. It belongs to the Touris. who employ themseines in the case of the moral and human . Irrenting of the Betholic youth of freat Bulan It is 4 nespectable . What the was so the greatest Jamelan of Spanish Immer are unto to it to recome their observation the Colonie nobelity of England also land their and there . In me last think there mere the Howards, Handage, Gentling Effords , Surreyhours and others

## . 18 to mine Bright land one to

In tradecomment of horgest look me away from trageroum where I had been an are, to never me to a singless second and and any professing the track the Mode Meligroup, the configure of any fun of the shoot after the night shoulding and one work execution to prefet the short of one generalizable to fresh the short of one generalizable to taking one severe from

Is one journey to it , we stopped in few was at Berningham a large lower celeb. waited for the extensione from manufactures 1. D. rolliery . " was here introduced to " Chousen the sowether and belowersh, and to hich? Traiter and Gales of the Sugar Coak Works , purhas who have sevel usam colours employed in fur mesting gines and make the " Higher to the Fund of Egyht. At Mayor here look me Bower to come and It great defith. From the low war protection to handuster where is Buggs invatures me to Ma William Garnell sin to swerel cities gentlemen the chanced me the interior of a lotter thist. House y and rather Forting gréavheilment

while getting much and amount floor from all enco from plague mores . and leave of the Top with France and railed in a fact cartine - The to Growing & was night when me landed There there was now to his : The house, shoots Horas carring of and the continue of the subability " and marched ma " Engage one waster guest . I there were compley rollins in the lower the warre and way good rattling been ghe the stook I that to be military variages - in vain I looked wind for the Toppear . And hate hate . withing but "black hatt appeared . " was proppled at every There I saw . it was a long time lepes Sant understand the letter in the rooms, and when I was was laid out I little capealed there were things to sat water glittering silver arrest, when the westers smartly married the dishes nuces, asychather and feel appeared to come as I by majest. It such an early aga Similal mare as replacement an exhabitioning - but Monghot there was no water in Pongland -In Isaw rothery but tax. coffee, book, ale porter, eyder, weres, trandy, gan, every starting and every root of made lequors - but water there therean and not seen to which. We did not day long at doner - me night Twee and note a couch seawn by four horses which I at feast eight took for a tooloomber, at rance reded but travelled with great reproduly wer, unlike . me worked ) till was arrived as don't Songeria, or was a gar about hind on a place or is to the see as a whence I rad on our all the whencey in the harbor let aught. Whis book place and abstrace of from Sonks from book and at the how we arranged to one a sure having soon and song soon

Legan la England in 1918

Ofthe a size of dia works or to a month, in Grains Some ongrand my proposes the England in a small English Brighton I mound in the constituent there is the sold with with within , some and layer award. He were frequently locationed in the meditorians on. Me whype I at the that to get on works and fresh land this at Getrallar. In the Bay of Burry, emperienced very sough weather . I to not resulted where are anchoral and person guarantees. this landed about this weeks on a " mouth and my confidence of genety destrophed one particularly as me said dans to plante and detenguished the inhabitants walkens about the feel, and the notice propers . I wont the time I was bornented with a party temporary is the committee it was explit lagwhich imposes is to my dish a inspect may immedities then the prescription were me may not 114

Theps , here and menerals appeared to person ander galala locker small and I stone to The till of the cade looking along the deck and Madding tears, which when Franco personed it, said That as courage which wolld one and make me enset et was the dock on the deck was blown into my eyed and made then, water I do not districtly remainder what I went di una the waysha. He stepped at laps trave. " where I were I so care with some woman and any servant to buy fresh frost, here I throwed tall columns the same of a mangrableting Compile of subjusty. The water of the sea here toos to clear that we could charty distanguish the racks and shalls laying in the bottom. as nown book ughe of their the whole way From constantanglik to Smyrna Orings in improve Granes got rooper and in her Frank quarters close to the sea when I'm man was a work of langued and had negrosed the confusion of a refather who let Fin to take core it is tell our rafe arenal to dondon But he have not to to an impudent vagabond . a thist are is clounter In Loud : Ko get cools dept and hand rugge is gear difficulty with him to get him off and give an account of himself but I have no have of him do co.

I had, so usual on such occasions, in . I wood adva years in June young and thoughthefs. I know not the value of perouls and my has 363 year full of a consumble to at some and of going to a country where all the inhabelouts were total men and Englishman - I loft them topping a hiefly empatient to mount a none for the first time in any life which was Hanking as the down for me . Before Ilaft the house, an old armonian haly, who as Cottle there ago had forestard a contain house in the neighbour hood would be with fire and was in consequences booked afron as is heopholy just has hands upon my head and said Salvanto to most fartunate " beto your no his het transliden ing read was will and younger Frother week with because I was going away, but my affecting mother, with street gravely, heckened one. to her and hipsed ma on the forther. The propert one head to her have later and smuld have cheeshed me long but the line came when then to hast in and were that was at since come was the sail of it has now married that wars " him had no view from her. Bours lifted on howhet . I'm as led to the port where i combacked in the Carne I take at my little as long on to. The or disposed that in the Corner

who durch not disloye me from a heap of pyster shells in a corner or ellector of armone from your me a sound distributed with the best to make his the Beamse as the and the translation of the Scanne as the and the translation of the bodger. They we regard for from of the bodger. They we regard with the screen again for from officed an object in my thelf. Then we seem to the stand and the screen we seem on the stand of particular above, when my severe are restricted to the thermant.

Jo to Longrosa: ( "gracum time)

regested ago busine and 1817 a the Executive of 188 " who is the mind to would no to England The first into castion of his resolution was to buy me a complete sind of Heart clooker it make how of linear with my bushish waterons del Made det a described through a way proceed and sent off to an Tomar largue which was fait leaving to shortingthe. " i was a time way . ind I theilled about the west recent in the house in a pair of saw short looking fines , and leaning round should on our heals to their how Corde ach the Frank . But when, in the prouves of the whole farme apender. I in gornaile thrush my hand toto my light Prescha to adjust my thirt, the poke was carried too far- and on weather land the her shipper and water the restricted weather with a first the attention I have the laught hearth at my English

enoments, makesame me to set in me position Lefore hem and to lestin to his reading, although Adedere I did not understand me when it what I hand - over what wower remarkable my father himself, did not know a word of the English language and seamed to derive pleases From hearing his own socie in that premier toge The always that up the book by observing the English were obsertions vary applied led and would send one a manageth thouse to be no been with about them when wearing one to light The pipe he was to sit gazing at man while I mummed a little worden shoot with fich west new fingers in the arab fashion. I had become a very good toy, ofthe wished is go to England ind went morning and night a Sede for his blekeng. I was to watch for hours a proting of the bigger than to see whether it would move - and chrosps took a little States pocket dictionary to had with one . " suchstanding my year faired prate Two as progrations as over - 200 touch every of particuly to fight with the little boyd of one roughbourhood and enhandmary mough such rencontres I processman along that I " as an Englishman - in going to Frangistin " had great thought and unfhale for a little. how and generally obtained the martery in fighting I was partially wood of my concar one day. when quarelling on the sevened and mon the

.n -

Bother an Halen sin a Square that on my hour. Her have which some gottoned and ving was comised tolered that to my tack, and planted before and human oner my lamban . " was allowed to wear this distill and in the adapt and who were my faller look one out a walking with him. to these occasions I always walked in his thate and constinues under some of the hom of his captan or house. I am now no tonger summe by the warm I Morning , at Buch in the family & but " who was alles Bouldook Ingely or doubt loghelman . . when in vig the wings want pulses with money lighter the survey halls I do not remainder who he immales more - but after we the I diant to the preparation for the concooling of which was a marginification new to me ) . Nyederich aga with great commony look me by the stand through · love gullery to a soon where there were Price and oneget in grand pullety ! I have the said Sylvan three ere English French and taken bouch you and was them and you what he a great man in rife one by nightly with books loves Auggles to open much light to underest a institution parce them there builded and the state of the state in English - the rates we the one he was approved found 4 entres one show to one in the between

The welcome are of the marker induced repect , and the number of wholland is descriptions who attended to Them : Withou meals and revestions in regular House cannot me to to more build and attendant . I had books given me! and in paper to write on These Kings unfriced me to become student in fail un a nerin were pleased with my property. particularly . drawing thisps . But when I dear a proting representing would broiling in jurgatory - with angels Mullimo up some and cettere down others, my character as a clover and prived boy was soon cadablished trusteer my met thought that after such a specimen of general ? execution was complete on that the time I was to be with these private had closed. I light that place now returned to my mother who received me very affectionately My conduct was now greatly alticed, " Krike to clean the healt" and to" draw water. I no longer son about - but that with dode, in was it is manfired who wied with the family; the greater part of the day - tranget he hem offer some hall the barn and fined out the water for him to wach his hands 40. Heard with. I wan jord a reading out along withough " and sector and " I freamed . Sand meter my hert were ought and puryed with our mostly to me pation would in his man I on favoure of my passeds.

My Father return for the Syph .

I was on his evenine of a rising day that my The demakes and and summelike in account to the draw of beach relation who had pole elice of the this player and a where cooper in the flower from our windows in er propertions thereof in shed my holowed feether Sed relieved from that has country these I few a committee wither there was a second at our observed assess is not amounted to spice is . Proces to my retouchment he had come. "it seems into my mother can get on the 18/1/2 and bed me to under the through which explain his Kinge later descrives to his andles when to my terror out muchod Kanderchaft, paper, letters, Konnad, Forts enousy and other on which He then changed his blue tishen for the Irmanian calpan and while my mother harboned to proper. him reffer tot on the devan and began to play on the lawbour. He commanded one a sin and hay hem like new and to fatel fresh water for him to dreak, I hadened es in craid with rilight sin look the melantion of carrying a long thek harryonly and a crafe end winder my a compute sich to touch the clothes of any person in the wield. My parents baught make a new much of elothed in recomposate for my late deligender in my thehes was very proved of mythy this lines .

we come of some place these - born buien kinter off some beauthed with the several-smooting bloken to adapa the each with. Before one arrived of the willing is me cooper or great head - whence me had a onew of the minural of Manhal. We should in the hour of a Great who showed on his handed and printels, to show he was made around against robbers and Bostanjii. The days aloned taper I found out where the minigard were, where the posts were milled and where the Bakals hight their thops. By father to keep one out of unicine, serving have already some months in Verape great ville, capaged a Trenchmen to give ere laters in French. He tight partitions and areaking boots caused one to dulike him . I want as much French from him " Thereins or Sphered Tripono withy - and when my father was about to sat off for Mass (Egypt) and the family that is remove to Bay below again . I left him with great Process 25 learning Contactinoples, I was placed in a experience only of leading andrews when herest . The weeks Mind by some demanan preests . This week. ment litered near the things in the Restore seemed a pelace to me. Painted walls hating prentains, commenced & lefty ceilings, long galleries and large windows with magnifice; } same of glass to them were now to me

" "Was I was assumpted to the said of a Papel. who had greet many wholland from whom " Seared much misshist ; sestimble land ; a the course of some some or the months this men laught me how to repeat the Lords prayer in Romaic by art and to frommer the Greek alphabet. Such perfecency in the Breek language was desmid highly ore Stable to my natural latents - and mas with will dispatched to an Station priest? Time above was an old man who had book the use of his leas and always lay on had; the has the every and brevery combinally in this hands . I soon found his dissipation and piety oreforeable for my spirit of altered . and other attended to his westernisms. The ristance of his whool from my house offered too many offerthe ... the way to cleast my winty and to deltin me ; kunder, in I'mow barred oat my demous every day in a basket I was always tempted to open it soon after I terried a course out of seem of my Konse , devouring the most delicate morelle and throwing away the rest to Luggars and dops to the former bloked me and the Steer ways their tails : Some thus to declinguish many of were happen. some of whom I farmed more then other, in them man, taking admintiger of my in complicity, always lie in wait for man.

### In Constantinople .

Care in ungenernable little boy, seldom notions ad the Papage who rept a little whole In the heigh boar bood or my father house constant of studying them found of lighting and entered liquies and of the or paper. I solom staged in the house - but was witnesself in a "currence close by drawing Killing setting love to large of Some and halten at dogs. The limit of my persona. tions was an Otal's about fifly years from my dow, where I set to admice the rail. somet and sundry groceries, opposible this shop was a timeen prequented to Tamperias and Kallenigers whom I ared to admira on isosome of their white whene and bright around.

by father who did all in his power to give the a different spend one to an different spend one to an different spend one. They first mate, was an Exmension of arrolable compare who flooged the possible regularly ones a break, to drink of frequent that have and improvement for your man succeeded on leashing makens or man and arrill the seame man language.

# المسلاحسين (٠)

## BRITISH MUSEUM

DEPARTMENT MANUSCRIPT

CATALOGUE 37448 ORDERPS5/403

AUTHOR

TITLE HÉKÉKYAN PAPERS

(SELECTED PARTS)

PLACE & DATE OF ORIGIN 1807 - 1841

BRITISH MUSEUM PHOTOGRAPHIC SERVICE, LONDON

(\*) م أوراق حككيان بالمتحف البريطاني

### فهسرس

and the state of	LI.														
٥	•	٠	٠	•	٠	٠	٠	٠		•		f	44	<u>i</u>	
٧	ڏول	ال	مابد	ъ	ة في	رجيا	الخا	صر	ات م	علاقا			-	اللوث	
٣١			۱۸٤	م ۱	د عا	ر بھ	u-ma	. في	ستكار				_	الموشم	
٧١		•	٠		٠	4	٠	٠					وع ا اوراز	الموشم	
۸4	•	•		٠	٠				شا		-		<b>وع ا</b> مذکر	الوشي	
180								**					ق	اللاح	

۱۸۱ ( مصر حککیان )

#### 

- الأصول التاريخية لسالة طابا ـ دراسة وثائقية
   د يونان لبيب رزق
  - ٢ مجمع اللغة العربية دراسة تاريخية
     د ٠ عبد المعنم الدسوقي الجميمي ٠
- التيارات السحاسية والاجتماعية بين المجددين والمحافظين
   دراسة في فكر الشيخ محمد عيده
   د زكريا سليمان بيوجى
- الجذور التاريخية لتحرير المراة المصرية في العصر الحديث
   د \* محمد كمال يحيي
- رژیة فی تحدیث الفکر المحری ، الشیخ حسن المرصفی وکتابه رسالة الکلم الثمان مع النص الکامل للکتاب »
   د • احمد زکریا الشلق •
- آ صياغة التعليم المصرى الصديث « دور القوى السياسية والاجتماعية والفكرية ۱۹۲۳ - ۱۹۰۲ »
   د • سليمان نسيم
  - ٧ ـ دور مصر في الحريقية في الحصير الحديث د المرقي عطا الله الجمل المراقية

- ٨ ــ التطورات الاجتماعية في الريف الحصرى قبل ثورة ١٩١٩
   د فاطمة علم الدين عبد الواحد ·
  - ١٩١٥ المصرية والتغيرات الاجتماعية ١٩١٩ ـ ١٩٤٥ د ٠ الطيفة محمد سالم ٠
- ١٠ الأسس التاريخية للتكامل الاقتصادي بين مصر والسودان
   ١٠ دراسة في العلاقات الاقتصادية المصرية السلودانية
   ١٨٢١ ـ ١٨٤٨ »
   ١٠ نسيم مقار
- ۱۱ ــ حول الفكرة العربية في مصر ــ ‹ دراسـة في تاريخ الفكر السياسي المصرى المعاصر ٠ د ٠ فؤاد المرسي خاطر ٠
- ۱۲ ـ صــحافة الحزب الوطنى ۱۹۰۷ ـ ۱۹۱۲ ـ « در ســـة تاريخية » ،
  - د ٠ يواقيم رزق مرقص ٠
  - ١٢ ــ الجامعة الأهلية ببن النشاة والتطور •
     ١٠٠ ـ د سامية حسن ابراهيم •
  - ۱۱ ـ العلاقات ألمصرية السودانية ۱۹۱۱ ـ ۱۹۲۶ .
     ۱۵ ـ المعد دياب ٠
    - ١٥ ـ حركة الترجمة في مصدر في القرن العشرين أحمد عصام الدين
  - ١٦ مصر وحركات للتحرير الوطبي في ثنمال افريقيا
     د ٠ عبد الله عبد الرازق ابراهيم.

- ۱۷ رؤیة فی تحدیث الفكر المسری « دراسة فی فكر احمد فتحی زغلول »
  - د ١ احمد زكريا الشلق ١
- ۱۸ ــ صناعة تاريخ مصر الحديث ــ « دراسة في فكر عبد الرحمن الرافعي » ·
  - د ٠ حمادة محمود اسماعيل ٠
- ١٩ ... الصحافة والحركة الوطنية المصرية ١٩٤٥ ... ١٩٥٢ ... من ملقات الخارجية البريطانية •
  - ر ٠ لطنفة عنصد سالم ٠
  - ١٩٤٧ ، ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ ، ١٩٤٨ .
     ١٠ عادل حسين غنيم ،
- ٢١ ـ الجمعية الوطنية المصرية سنة ١٨٨٣ ـ ، جمعية الانتقام ، •
   د زين العابدين شمس الدين نجم
  - ۲۲ ـ قضیة الفلاح فی البرلمان المصری ۱۹۲۶ ـ ۱۹۳۱ •
     ۱۰ ذکریا سلیمان بیومی •
- ۲۲ \_ فصول فی تاریخ تحدیث المدن فی مصر ۱۸۲۰ \_ ۱۹۱۶ •
  د حلمی احمد شلبی
  - ۲۲ ـ الأزهر ودوره السياسي والمضاري في افريقيا ٠
     د ٠ شوقي الجمل ٠
- ٢٠ ـ تطور النقل والمواصلات الداخلية في مصدر في عهد الاحتلال البريطاني ١٨٨٧ ـ ١٩١٤ -د ٠ فاطمة علم الدين ٠

٢٦ ... جمعية مصدر الفتاة ١٨٧٩ دراسة وثيقية

د ۱ علی شلش ۱

٧٧ ـ السودان في البرلمان المصرى - ١٩٣٤ ـ ١٩٣٦

د و يواقيم رزق مرقص و

وبين يديك :

عمس حككيان

۱۰ د / احمد عيد الرحيم مصطفى ٠

والعبيدد القيسادم :

المجالس النيابية في مصر عي عهد الاحتلال البريطاني

د ۱ سعیده محمد حسنی ۱

رقم الانداع ۲۲۹۹/۱۹۹۰

الترقيم الدولى ٧ – ٢٣٩٢ – ١٠ – ٩٧٧

الهيئة المصرية العامة للكتلب

يستهدف هذا الكتـاب القاء المـزيد من الأضـواء على تاريخ مصر الحديث فيها بين عامى ۱۸۶۱ و ۱۸۲۳ ، وهى الفترة التى تشمل أواخر عصر محمـد على وعهـد كل من عباس الأول ومعيد .

وقد شهدت هذه الفترة التي لم تحظ بالدراسة الكافية انتقال مصر من حيز الفتوة والاستقلال الواقعي إلى التبعية لأوروبا وما استتبعت من تحولات وهزات عاصفة .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

۲۱۰ قرشا